
اجاثا كريستي
الجريمة
تدق الباب

اهداءات ٢٠٠٢
أ/حسين كامل السيد بك فهمى
الاسكندرية

الجريمة تدق الباب

برنارد الأسطه
يقدّم
الرواية المعرّبة

الجريمة تدقّ الباب

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

الناشــر .
دار ميوزيك
للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
ص . ب ١١/٨٤٩٢ بيروت ـ لبنان
تلكس MUSIC 45328 LE

الغلاف
بريشة الفنان
عبد العال

الجريمة تدق الباب

القسم الأول

أداروا مقعدها الوثير لكي يواجه نافذة مخدعها العريضة المطلة على الخليج، والتي تكاد تشغل من الجدار رقعته كلها. وقد أطعموها، وأدخلوها الحمام وغسلوا لها جسمها، ومشطوا شعرها.

إنها الآن في الفترة التي يمكن أن توصف بأنها فترة الإغفاء والاستجمام مدة نصف ساعة.

لقد قالوا لها إنها ظهيرة جميلة ذات جو منعش، وأن من حسن حظها أن في مخدعها مثل هذه النافذة الرائعة المشرقة على الخليج بمشاهده الخلابة.

ثم تركوها وانصرفوا.

كان ذلك اليوم هو يوم سبت، وكانت تعرف أنه يوم سبت لأن أطفال المدرسة كانوا منهمكين في اللعب في الحديقة الواقعة عبر الطريق، وكان بائع الزهور قد جلب إلى حانوته الورود التي يقبل عليها الناس عادة في عطلة نهاية الأسبوع.

ولقد اشترت البيت بسبب هذه الحديقة العامة الصغيرة... هذه الحديقة التي تلائم الأطفال. أما الحدائق المجاورة الخاصة بالبيوت الكبيرة المشيدة فتصلح لحفلات الرقص ليلاً ولمباريات التنس نهاراً.

نعم... كان ذلك يوم سبت، فها هو زوجها «رالف» قد رجع من عمله في البنك، وها هو قد أسهم في إعداد غذائها، وقد أعد بنفسه

حساءها. وليس هذا فقط، بل إنه نعتها بأنها «طفلته الصغيرة».

لم يوجه إليها نفسها هذه الكلمات، وإنما كان يتحدث إلى الممرضة.

لقد قال لها في نبرة تنبض أسى ومرارة:

ـ مس «سيلز».. إنها كل ما تبقى لي اليوم.. إنها طفلتي الصغيرة.. نعم.. إنها كل ما بقي لي.

وبدا على مس «سيلز» كأنما تريد أن تبكي. وامتدت يدها إلى الأمام قليلاً في حركة متوترة كأنما تهم بأن تلمس شعره الأشيب الجميل.

وقالت له:

ـ لا ينبغي يا مستر «مانسون» أن تبدو حزيناً بائساً. ومهما كنت تعساً مكروباً فإن عليك أن تتظاهر بالابتهاج إكراماً لخاطرها.. إنها شديدة الحساسية، والانفعال، وتشعر بما يدور حولها.

وهي أيضاً تستطيع أن تسمع ما يجري حولها. ولكنهم في بعض الأحيان ينسون هذا. فعندما يوجهون إليها الحديث يرفعون أصواتهم ويقرنون الكلمات ببعض الإشارات، كأنها صماء لا تسمع. ولكن عندما يتبادلون الحديث فيما بينهم، فإنما يتكلمون كأنها غير موجودة، وكأنما لا تسمع إلاّ إذا أدنوا وجوههم منها ولوحوا بأيديهم في وجهها.

ولم يكن في هذا ما يضايقها، فقد كانت تريد منهم أن يتبادلوا الحديث فيما بينهم بأصوات عالية، وأن يظلوا مقتنعين أن بها صمماً. وهم كلما أقبلوا على الحديث كان هذا خيراً لها. فإذا ما غادروا الغرفة كانت تريد أن تعرف إلى أين هم ذاهبون... كانت تريد أن تعرف أين كانوا في كل ساعة من ساعات النهار، بل في كل ساعة من ساعات الليل خاصة... بل إنه الليل هو الذي يعنيها ويثير اهتمامها.. نعم.. الليل.

لقد غادروا الغرفة وانصرفوا، وسمعت وقع أقدامهم تهبط إلى البهو.

وتطلع «رالف» ناحية غرفة الضيوف... إنها الغرفة التي اتخذها مخدعاً ينام فيه لقد سمعت الطبيب يقول له إنه ينبغي أن ينام في هذه الغرفة

حتى يكون في متناول النداء فيسمعه في سهولة.

ولكن نداء من. .؟ إنه لا يمكن أن يكون نداءها على أية حال، لأنها لا تستطيع أن تفتح فمها. . . ولكن لا. . . إنها تستطيع أن تفتح فمها، وتستطيع أن تحرك شفتيها، ولكنها لا تملك أن تنطق، ولا تملك أن تصدر صوتاً. إذن فما قصده الطبيب هو النداء على الممرضة مسز «سيلزم».

كانت الممرضة تنام في سرير صغير وضع بجانب الفراش الكبير، وإذا حدث أن احتاجت إليه مسز «سيلز» أثناء الليل ونادت عليه، فإنه يستطيع أن يلبي نداءها ويكون إلى جوارها خلال دقيقة واحدة. وهو يستطيع أن يسارع إليها عبر البهو، أو عن طريق الشرفة الكبيرة التي تدور بالبيت.

إنه من المحتمل أنهما يتحدثان عني الآن في البهو ويقولان إنه من المحتمل أنني قد أموت فجأة خلال الليل. . . كان هذا هو ما يدور بذهنها. ترى هل أستطيع أن أبتسم. .؟ الواقع إنني لا أدري، فإنهم لم يأتوني بمرآة قط، ولم يضعوا مقعدي أبداً في مواجهة المرآة، ولكن إذا كنت عاجزة عن الابتسام، فإن هذا هو ما أفعله الآن في داخلي. . نعم. . إنني الآن أبتسم في قلبي.

وتناهت إلى سمعها خطوات مس «سيلز» وهي تتجاوز الغرفة الوردية إلى رأس السلم، ثم وهي تهبط الدرج، إلى أن تلاشت في السجاد السميك الذي يكسو أرضية الردهة السفلى. إنها خارجة تتمشى لتقوم برياضتها اليومية المألوفة. وبعد لحظات سأسمع صرير الباب الخارجي وهي تغلقه وراءها، ثم أراها وهي تلوح لي بيدها تحييني حين تعبر الحديقة. وبعدئذ سأراها عبر الطريق، في الحديقة العامة الصغيرة، تسير بخطى واسعة مسترخية، وهي تلوح بذراعيها في حركة لطيفة رشيقة.

وبعد ذلك تأتي «إيما» لتجالسني وتسامرني. . وسوف تتحدث «إيما» إلي. . سوف تتحدث بصوتها الحاد المسرسع. . تتحدث، وتبتسم، وتثرثر - طوال ساعات متصلة. ولكنني معتادة على «إيما»، فقد عاشت في خدمتي

سنوات طويلة حتى أصبحت وكأنها فرد من الأسرة. ستحدثني «إيما» عن أسعار الأشياء التي تشتريها، متظاهرة بأنني ما زلت ربة الدار أدير شئون البيت. القصاب، والفاكهي، والمزارع الذي يأتينا باللبن - أنهم جميعاً لصوص لا ذمة لهم، ولكن ما عسى يملك المرء أن يصنع . . ؟ وتقول «إيما»: «يا إلهي . . ! إنك تبدين اليوم أحسن صحة . . ها هو التورد قد سرى إلى وجنتيك».

التورد . . ؟ إنها لا تدري إن مس «سيلز» أصرت على أن تجمل وجهها بماكياج خفيف، وأن تجمل أظافرها، وتقص لها شعرها. لقد قالت إن هذا التجميل يرفع الروح المعنوية.

وكان من عادة «إيما» أن تجلس في المقعد المنخفض، أنيقة في بزتها الرسمية المنسجمة على قوامها، ثم تأخذ تتحدث عن الشاي وعن العشاء، كما كان من عادتي أن أستمع إلى ثرثرتها. وها هي ذي «إيما» الآن تثرثر. وكان من عادتها أيضاً أن تشتغل بالتريكو، ولكنهم أمروها أن تكف عن هذا العمل، وذلك بسبب الإبر. إن إبر التريكو هي الشيء المناسب جداً . . مناسب حجماً وطولاً - فقط لو أن يدك استطاعت أن تمتد إلى الإبر وتمسك بها . . نعم . . إنك لتكون مجدوداً سعيد الحظ لو أن يدك أمسكت بإبر لتريكو - لكي تتخذها أداة للانتحار.

إن أيدي «إيما» عجوز معروّقة، وخشنة تكاد عظامها أن تبرز، وذلك لأن يديها هي أدوات عملها. ولكن يد «إيما» قوية صلبة، إن يدها لا تحتاج إلى جهد تبذله لكي تقبض على إبر التريكو . . إنها بمنتهى السهولة واليسر تحرك الإبر في اتساق، وتدور بها صاعدة هابطة دون أي جهد.

ولا شك أن «إيما» فطنت إليها وهي مركزة بصرها تراقب يديها . . نعم لا ريب أنها لاحظت نظرتها، لأنها قالت لها: «لا . . لا يا مس «نورا». . لا ينبغي لك أن تفكري في شيء رهيب كهذا». ولكن «إيما» لا يمكن أن تكون قد استشفت ما يدور في رأسها . . بل لا أحد يستطيع أن يفطن إلى ما تفكر

فيه ـ لا أحد. . إلاَّ. . ! إلاَّ. . ! ولكن لا. . . هذا غير محتمل. . ! ولكن ألا يجوز أن يكون محتملاً؟. . وراحت تتساءل عن الحقيقة، واستبد بها القلق، ودفعها القلق إلى ما يشبه الجنون ـ إلى أن سمعتهما يتحدثان حين ظنا أنها استغرقت في النوم.

قالت مس «سيلز»: كانت اليوم تشتهي أن تأخذ إبر التريكو من «إيما». . لقد استشفت «إيما» في عينيها النظرة المتلهفة. . إنني غير راضية عن هذا يا مستر «ماسون». . . نعم. . إنني لا أحب هذا على الإطلاق. . إنها لا تستطيع أن تقبض على الإبر حتى لو وضعناها في يدها. . إنها لا تستطيع أن تمسك منديلاً. . ليس بعد. . ليس في الوقت الحاضر. . ومع ذلك فأنا لا أحب هذا. . ففي أمثال هذه الحالات يحدث أحياناً تغير مفاجىء. . تغيُّر مؤقت لا يستمر طويلاً. . شيء يشبه تقلص العضلات. . وإذا ما حدث هذا التغيُّر المؤقت فإنها تستطيع أن تنزل بنفسها أذى شديداً إذا ما استطاعت أن تمسك بشيء كهذا. . شيء له سن مدببة. ولهذا طلبت من «إيما» أن تكف عن شغل التريكو، وأن تسلي نفسها بشيء آخر لا خطر من ورائه. . كتسلية لصق الورق المزخرف. . إنك لا تستطيع أن تؤذي نفسك بشريط من الورق المصمغ.

ورد عليها «رالف» بقوله:

ـ تؤذي نفسها. . ! إنه ليكون أمراً رهيباً. . ! ولكني أعتقد أنك على صواب. . . فقد لاحظت أنها كانت تركز بصرها على قلمك وأنت تكتبين قائمة الأدوية. . . نعم. . كانت تريد القلم. . كانت متلهفة على الحصول عليه. . . ولكن ما عساها تفعل بقلم الكتابة. . ؟

ـ لا أدري. . إننا لا نستطيع أن ننفذ إلى بواطن عقلها المضطرب. ولكن ينبغي يا مستر «ماسون» أن نكون على حذر دائماً، وأن نتحسس خطراً في كل شيء. . يجب أن نهيىء أنفسنا لتغيير جثماني مفاجىء. . إنها تستطيع مثلاً أن تؤذي عينيها. . تستطيع أن تدفع القلم في حدقتيها. . وفي الحالة

التي تكابدها الآن يمكن أن يخطر لها أنها مخلوق عديم النفع. . إنها عبء ثقيل عليك. . وفي انفعال عاطفي جارف قد تفكر الآن أن تعاقب نفسها. . . ثم ما يدرينا أنها تتمنى الآن أن تفقد بصرها وألاّ لا ترى أبداً.

وألقى بيده الدافئة على يدها الباردة المرتعدة، ثم قال:

ـ أتوسل إليك يا مس «سيلز» أن ترعيها باهتمام. . أرجوك ألاّ ترفعي عنها بصرك. . احرسيها جيداً حتى لا تؤذي نفسها. . إنها كل ما تبقى لي من دنياي. . ألم تلاحظي كيف تتحرك عيناها الجميلتان وتتابعان كل ما يجري أمامها. . ؟ إن عينيها هما الشيء الوحيد فيها الذي بقي حياً.

وكان هذا هو السبب في أن «إيما» كفت عن شغل التريكو، واستعاضت عنه بورق اللصق تعمل منه أشكالاً زخرفية. . وكان هذا أيضاً هو السبب في أن مس «سيلز» لم تعد تعلق في زي الممرضات الذي ترتديه قلم رصاص أو قلم حبر.

إذن فهذا هو ما يفكرون فيه. . ! أن تؤذي نفسها عن عمد. . ! إنها لمحدودة الحظ بأن فكروا في هذا. . لقد أخطئوا فيما يستنتجون، ومن حسن حظها أنهم أخطئوا. . بهذا أخذت تحدث نفسها. . إن عليها أن تفكر في شيء آخر بدلاً من القلم. . شيء يمكن أن تضعه بين أصابعها، ثم تديره وتحركه، لكي يمنح أصابعها القوة دون أن يفطن أحد إلى الأمر. . . في المستشفيات العسكرية يعطون الجندي شيئاً يحركه ويطبق عليه أصابعه ويحاول أن يديره بينها ـ وذلك لكي يزول تدريجياً توتر الأصابع. . نعم. . إنهم في المستشفيات يساعدون مرضاهم، ويسعون إلى شفائهم جاهدين مخلصين ـ ولذلك لم يبعثوا بها إلى المستشفى وأبقوها في البيت.

لقد سمعتهم يقولون:

ـ إنها ستكون أكثر راحة في بيتها، ومع عشيرتها وأهلها الذين تحبهم.

إيذاء شخصي متعمد. . ! إذن فقد سمعت هذا أيضاً. . إذن فمن حسن حظك للمرة الثانية أنك كنت عاجزة عن أن تضحكي. . نعم. .

إنك سعيدة الحظ لأنك لم تجفلي، وإلاَّ لكشفت نفسك وأزحت النقاب عن سرك.

أهذا إذن ما يفكرون فيه . . ؟ إيذاء شخصي . . ! تؤذين نفسك وأنت الحريصة أشد الحرص على أن تحافظي على حياتك، لا أن تعملي على فقدها . . إنَّ كل ما تبغين هو أن تستبقي حياتك، كما هي، إلى أن . . . يا إلهي . . لمرأبكِ . . ؟ هذه هي الدموع تنساب على يدي . . إنني لم أكن أدري أن في استطاعتي أن أبكي . . ! فلأدع هذا ولأفكر في شيء آخر . . إن «بروسي» سيأتي على عادته في قطار الساعة الرابعة . . . وسوف يكرر نفس الشيء الذي يقوم به كل مرة . . . سينحني فوقي، ويتأمل وجهي، ويقبل يدي، ثم يقول إن صحتي في تحسن مضطرد، ثم يكايدني ويعاكسني ـ وكل هذا منه مجرد تظاهر ورياء . . ! ألم تكف عن هذا . . ؟ أرجوك . . كف عن هذا . . !

وتطلعت إلى السجادة التي يغطون بها ساقيها درءاً للبرد . . إنها سجادة عتيقة مضت عليها عشرات السنين. ونظرت إلى أهدابها (الشراريب) . . . كان الهداب قديماً جداً، وقد بلغ من قدمه أن تصلب وجمدت خيوطه، حتى أصبح في تصلبه شبيهاً بالقلم . . . إذن فلتحاول . . فلتجرب إن كانت حقاً صلبة النسيج . . ولتسرع وهي الآن وحدها، قبل أن تأتي «إيما» . . . بل قبل أن يأتي أي شخص . . قبل أن يأتوا جميعاً بعد أن يفرغوا من نزعتهم. نعم . . . هذا هو الوقت المناسب، ولكن ليس اليوم عن أية حال . . . سيكون ذلك في يوم آخر، وإن الأيام لكثيرة.

نعم . . . لا بد أن تحاول . . ها هي ترى الشراريب بجانب معصمها الأيسر، فهل تستطيع يا ترى أن تحرك هذا المعصم . ؟ هل تستطيع أن تلمسه بيدها الأخرى . ؟ انظري إنْ كان في وسعك أن تحركي رسغك . . ذراعك . . نعم ذراعك . . . هيا حاولي . . . حاولي . . ! كلا . . ؟ لا بأس . . . لا داعي للبكاء . . ! إن البكاء يؤذيك

وينهك قواك، فتعجزين عن محاولة أخرى. . استمري على المحاولة. . نعم محاولة بعد محاولة، ودون توقف، حتى توفقي. . . واحمدي الله على أن عقلك لا يزال سليماً. . . إنهم غير متأكدين من سلامة عقلك، وهذا ما يجعلك متقدمة عنهم في هذا السباق. . . هذا هو الذي سيجعلك تربحين في النهاية.

في يوم من الأيام سوف تتحرك يدك. . . سوف تصل إلى هداب السجادة، وسوف تنطبق عليها. . . ذات يوم سوف تمسكين بالهداب في يدك، وسوف تفردين أصابعك وتطبقينها على الهداب. . . وليس هذا فقط، بل سوف تديرين الهداب بين أصابعك، مرة بعد مرة، حتى تقوى أصابعك، وتدب الحياة في أعصابها. وبعد هذا يمكنك أن تمسكي قلماً. . نعم إن من المحتمل ألّا تري قلماً آخر بعد اليوم، ولكن أصابعك على أية حال ستكون متهيئة وعلى استعداد لمواجهة ما سوف يحدث. . ليس مهماً أن تبقي مقعدة لا تقوين على النطق. . إن كل ما أنت في حاجة إليه أصبعان. . أصبعان اثنان. . ؟ أصبعان. . ؟ كلا. . بل أصبع واحدة ليس إلا. . إن أصبعاً واحدة تكفي - لأن هذه الأصبع تستطيع أن تشير. . !

بأصبع واحدة تستطيعين أن تتظاهري بأنك تكتبين. . . كما يفعل الممثلون في مسرحيات التمثيل الصامت (البانتوميم). . . إنك تستطيعين أن تجعلي كلماتك واضحة مقروءة ولا لبس فيها - وذلك في حضور الشخص المناسب.

ولكن إنَّى لي أن أعرف أن الشخص المناسب سيكون حاضراً. . ؟ إنني لست واثقة من الأمر. . كيف أعرف أن أي الأشخاص هو من أريد. . أوه. . كفى بكاء. . ؟ كفى. . ! إنه يبدد ما لديك من قوة باقية. . حسبك ولا تكوني طفلة. ! طفلة. ؟ آه. . ! لقد سمعته يقول: «طفلتي الصغيرة». . . آه! ها هي ذي «إيما» قد حضرت. !

وها هي «ميلي سيلز» تعبر الحديقة العامة، مهرولة في اتجاه محطة

«لارشفيل». . . كان قطار الرابعة مقبلاً على المحطة في هذه اللحظة قادماً من «نيويورك»، وكان الرصيف مكتظاً بالأُسَرِ وكلابها. كان الوقت المتبقي أمامها لا يكفي إلا لكي تصلح من وضع قبعتها قبل أن يهبط «جورج بيري» ومستر «بروسي كوري» من القطار، ليشقا طريقهما وسط الزحام.
كان «ميلي» و«جورج» يعيشان مع أهلهما في البيت المجاور لمنزل مستر «مانسون»، وكانت تربط بينهما صداقة قديمة العهد. أما نظرتها إلى مستر «كوري» فكانت تنطوي على شيء من النفور، غير أنها كانت لا تملك إلاَّ أن تعترف بأنه كهل ظريف. . ولكن أهو كهل حقاً. . ؟ إنه على أية حال في الخمسين من العمر. لقد أخبرتها «إيما» أن مستر «كوري» الثاني كان هو الزوج الأول لمسز «مانسون»، وكان يكبرها بعشر سنوات، أما هي فكانت في الثانية والأربعين. . وكان مستر «بروسي كوري» هو الأخ التوءم لمستر «كوري» الآخر.

وقالت «ميلي» في نفسها حين رأت الرجلين معاً:

ـ يبدو أنه لن تتاح لي أبداً فرصة أنفرد فيها بـ«جورج» ولو عشر دقائق.

ولوحت لهما بيدها تحييهما، ولوحا لها من فوق رؤوس المسافرين، وكان الذي يدور في ذهنها في هذه اللحظة هو كيف تمضي السهرة هذا المساء. ربما ذهبت إلى السينما، وربما ذهبت إلى أحد المراقص، أو ربما ذهبت إلى الاثنين معاً.

وقالت في نفسها أخيراً: سأتلاعب به، ولا يهمني أن يكون متجهماً ضيق الصدر.

وعلى الرغم منها لاحظت أن «بروس كوري» لم يكن متجهماً ضيق الصدر، وكان إلى هذا متناسق الجسم رشيق الخطى.

ودفعت بذراعها في ذراع «جورج»، وقرصته قرصة خفية تداعبه، ولكن يبدو أن «جورج» لم يشعر بقرصتها.

وفي الوقت ذاته ابتسمت تحيي مستر «كوري»، ورد «كوري» تحيتها بابتسامة عذبة جذابة.

وتساءل «جورج» وهما يغادران فناء المحطة:

ـ عربة أم تفضلون المشي..؟

وأجابت مس «سيلز»:

ـ بل نمشي طبعاً، فتلك هي رياضتي اليومية.

وتساءل «كوري» في شيء من الاهتمام:

ـ أليس هناك ما تتسلين به..؟ هل تمضين نهارك في ملل..؟ أين إذن وسائل التسلية.؟

وسائل تسلية..! لقد كادت أن تنفجر ضاحكة..؟ إنِّي أعرفك أيها الصديق. إن لك دون شك كثيرات من الفتيات يقابلنك عندما ينتصف الليل.

وتطلعت إليه وابتسمت تلك الابتسامة التي تختزنها لكل من يغازلها عابثاً، وقالت:

ـ عندما أغادر فراشي في منتصف الليل وأهبط الدرج، فإنما أفعل ذلك لكي أحتسي قدحاً من الكاكاو... ومع ذلك فالأمور على ما يرام يا مستر «كوري»، ولا أشعر بشيء من الملل.

وسألها مغيراً مجرى الحديث.

ـ أجدّ شيء هذا الصباح بعد انصرافي..؟ ألم يحدث أي تغيير؟

ـ لا تغيير على الإطلاق.. وعلى أية حال فنحن لا نتمنى إلاَّ أن تبقى الحال على هذا كل ما نتمناه هو ألاَّ تسوء الحال.. لقد أكلت جيداً، ويبدو أنها تحاول أن تبذل مجهوداً.

وتساءل «كوري»:

وما نوع هذا المجهود..؟

ـ يبدو أنها بدأت تلاحظ الأشياء التي حولها وتركز عليها بصرها.. كما

بدأت تصغي وتنصت. وأعتقد أنها بدأت تدرك أنها عاجزة مشلولة..

كان «كوري» يصغي إليها في اهتمام، فقد كان يحب مسز «مانسون»، ولقد كان من حسن حظها أن هناك كثيرين يحبونها، ولذلك أبقوها في دارها، ترتدي ثيابها، وحولها أهل بيتها، بدلاً من أن يلقى بها إلى المستشفيات، بلا أنيس أو جليس.

واستطردت مس «سيلز» قائلة:

ـ كما أنها بدأت ترقب كل شيء يجري أمامها.. إنها طبعاً لا تستطيع أن تدير رأسها، ولكن هذا سوف يحدث في يوم من الأيام... ولقد أخبرت مستر «مانسون» بهذا.

ومشوا صامتين فترة من الوقت.

إنها هذه الليلة في عطلة من الثامنة حتى منتصف الليل، ولها في كل أسبوع عطلة كهذه، أحياناً تقضيها في بيتها، أو في غسل ثياب أمها في الغسالة الكهربائية التي اشترتها «ميلي» من مالها هدية منها لأمها.

وتطلعت مس «سيلز» إلى «جورج».. كان لا يزال متجهم الوجه. وقالت:

ـ سنذهب الليلة إلى السينما يا «جورج».

فرد في اقتضاب:

ـ ليس الليلة.

ـ ما الذي بك..؟ ماذا دهاك.؟

ـ أسناني تؤلمني.

ـ إذن يجب أن تعرض نفسك على الطبيب.

ـ ربما أفعل.

وفكرت.. إنه أحمق مجنون..! ولكن لم أهتم به فَلْيَلْبثْ طول ليله متوجعاً متألماً، فلست أبالي.

وقال «كوري»:

ـ ما رأيك في الدكتور «بابوك». . ؟
ـ إنني أثق فيه ثقة عمياء. . . وكذلك مستر «مانسون».
واستطرد «كوري»:
ـ أعتقد أنك اشتغلت معه من قبل. . ؟
ـ وهزت رأسها إيجاباً، وغمغمت:
ـ نعم.
واستعادت إلى ذاكرتها تلك الليلة. . . كان ذلك منذ أسبوعين، حين انتزعها دكتور «بابوك» من فراشها في جوف الليل. . لم يكاشفها بحقيقة الحالة، ولكنها رفضت أن تلبي عرضه، وألح عليها، ولا شك أنه يريد منها أن تمرض صبياً عمره اثنا عشر عاماً، مصاباً بكسر في ساقه، وغير راض عن ممرضته الحيالية، لأنها لا تعرف كيف تسليه ليلاً بأن تحكي له بعض القصص ـ وهي ترفض أن تقوم بمثل هذا العمل. ولكنه حين كاشفها بأن مسز «مانسون» هي المريضة ـ قبلت على الفور، وصحبته إلى دارها عند منتصف الليل.
وكانت مس «سيلز» سعيدة بقبولها هذه المهمة، ولم يكن مبعث ارتياحها أن بيت «جورج» ملاصق لحديقة مسز «مانسون» الخلفية فحسب، وإنما ما أثار ارتياحها هو تعلق مريضتها مسز «مانسون» بها. وكان الدكتور «بابوك» راضياً عن عملها، وهذا يعني الكثير دون شك، فإن هذه هي أول مهمة كبيرة تناط بها، فإذا أفلحت وقامت بواجبها على ما ينبغي، فلا شك أنه سيعهد إليها بمهام أخرى أكثر أهمية. . نعم. إنها ستلازم مسز «مانسون» حتى النهاية. ولكن أية نهاية يا ترى. . نعم. ستبقى حتى اللحظة الأخيرة، سواء أكانت لحظة الشفاء، أو لحظة. . الموت.

وسألها «كوري» وهو يضغط ذراعها:
ـ ما الذي قاله دكتور «بابوك» صباح اليوم. ؟

إنه لم يحضر يا مستر «كوري». . لقد اتصل تليفونياً عقب انصرافك، وقال إنه سيحضر بعد ظهر اليوم، وما كنت أود أن أتغيب عن البيت عند حضوره حتى لو كان مستر «مانسون» و«إيما» موجودين، ولكنني إذا تخليت عن رياضتي اليومية شعرت بالاكتئاب، وهذا ليس من صالح مسز «مانسون».

فقال «كوري»: كيف لم يخطر ببالنا أن نستعين بممرضة أخرى بجانبك

فعقبت مس «سيلز» بقولها:

- لقد فكرت في هذا فعلاً، وأشرت إلى الأمر، ويا ليتك رأيت نظرة الخوف التي تجلت في عينيها. . إنها تفزع من الناس، حتى من أصدقائها القدامى الذين يحضرون للاستفسار عن صحتها، ولذلك منعنا عنها الزيارات. وينبغي أن نحتاط وأن نكون على حذر، حتى بالنسبة لأهل الدار. مثل «هاتي» الطاهية. إن هذه الطاهية لا بأس بها إذا هي أطبقت شفتيها، ولكنها منذ أيام إنفجرت باكية، وأخذت تتحدث عن ابن مسز «مانسون».

وتساءل «كوري»:

- عن «روبي».؟ أذكرت عنه شيئاً مزعجاً.؟ هيا حدثيني بما وقع، وانسي أنني عمه.

وتحولت مس «سيلز» إلى «جورج» متوسلة.

- ولم لا نطلع مستر «كوري» على ما جرى بشأن «روبي».؟ هيا حدثه أنت يا «جورج».

وفي شيء من التردد أخذ «جورج» يتحدث.

قال إن البيتين متجاوران يا مستر «كوري»، ولا يفصلهما إلاَّ سياج من السلك، وفي هذا السياج ثغرات يتسلل الأولاد من خلالها من بيت إلى آخر، يختصرون الطريق. بدلاً من الدوران حول الحدائق والدخول من أبوابها.

وقال «جورج» أيضاً إن الأسرتين نشأتا متجاورتين منذ أن كان طفلاً يكبر «روبي» ببضع سنوات. وقال إنه اعتاد أن يتردد على منزل مسز «مانسون» كثيراً، وكان يدخل من الثغر، التي بين البيتين. وفي خلال مرض ربة الدار كان يزورها بضع مرات في الأسبوع، وكان يحاول أن يسري عنها بالحديث عن أي شيء يخطر بباله. عن الجو، أو الحفلات والأعياد السنوية.

وقال أيضاً إنه عند حلول عيد «جميع القديسين» أخذ يتحدث إلى مسز «مانسون» عن الأقنعة المخيفة المرعبة التي يضعها المحتفلون على وجوههم أثناء هذا العيد. وبينما هو يتكلم دخلت «هاتي»، فما أن سمعت حديث الأقنعة حتى انفجرت تشهق وتبكي، والسبب في هذا أن الأسرة اعتادت أن تحتفل بعيد جميع القديسين بأن تضع في غرفة «روبي» عشرات من الأقنعة المرعبة المختلفة الأشكال، وظلت الأسرة متشبثة بهذا التقليد حتى بلغ «روبي» الثامنة عشرة من العمر، فطلب من أمه أن تكف عن هذه العادة لأنه لم يعد طفلاً.

وتابع «جورج» الحديث قائلاً إنه ما أشار إلى الأقنعة حتى بكت «هاتي»، وأخذت تتحدث عن «روبي»، مما أثار مسز «مانسون» فبدا الألم واضحاً في وجهها، مع أن من كان في مثل حالتها المرضية يجب ألا يعرضه أحد لأي انفعال أو إثارة.

كانوا قد أشرفوا على الدار، فقال مستر «كوري» متسائلاً:

- أهي في نافذتها يا ترى.؟

فأجابت مس «سيلز»:

- لا بد أن تكون، فقد زحزحت المقعد قبل خروجي ليواجه النافذة، فإنها تحب أن تتطلع إلى الحديقة العامة، وحذرت «إيما» من نقله قبل أن أعود.

واستطردت الفتاة تقول:

ـ من الغريب أنها ترفض أن يلمسها أحد أو يقترب منها، ولكن، ما إن أعود إلى البيت حتى أشعر أنها كانت تترقب عودتي في لهفة. والأمر غريب في نظري لأنني لم أتول تمريضها . إلاَّ منذ فترة وجيزة، وأغلب ظني أن بزة الممرضات هي التي تجعلها تثق بي، فهناك كثيرون لا يثقون إلاَّ في هذه البزة الرسمية.

ثم ضحكت ومضت تقول:

ـ وفي هذا شيء من الحماقة، لأني أستطيع أن أروي لكم حكايات تشيب لها الرؤوس عن الجرائم التي ارتكبتها الممرضات.

كانوا في هذه اللحظة قد بلغوا البيت، واستداروا يجتازون البوابة، وكانت مسز «مانسون» لا تزال أمام نافذتها، ولقد رأتهم وهم يجتازون الحديقة العامة ويتبادلون الحديث. ولقد رأتهم «إيما» أيضاً قادمين، وقالت:

ـ ها هما مستر «بروس» و«جورج بيري»، قادمان مع مس «سيلز». وأعتقد أنها لا بد أن تكون قد ذهبت إلى المحطة للقائهما.

وابتسمت «إيما»، ثم أحنت رأسها ولوحت لهم بيدها، وبدا عليها أنها سعدت بأن ترى أشخاصاً يبتسمون ويشيرون بأيديهم ويتبادلون الحديث. مسكينة «إيما».! ها هي ذي تتكلم، وتتكلم، وتتكلم ـ ومع ذلك فهي ليست موقنة من أن هناك من يسمعها أو يفهم ما تقول.

ومضت «إيما» تقول:

ـ يجب أن تدركي أنك سعيدة الحظ. نعم. أنت محظوظة بأن عثرت على فتاة لطيفة مثل مس «سيلز» لكي تسهر على تمريضك والعناية بك. لو أن لك ابنة لما شهدت منها مثل هذه الرعاية. وها هو ذا مستر «بروس كوري» أيضاً يغادر شقته الجميلة في «نيويورك» ليحضر لزيارتك وليسري عنك ـ طبعاً إكراماً للأيام القديمة الخالية.

إنه رجل يكره حياة الريف ويولع بحياة المدن الحضرية، ومع ذلك يتخلى عن هذا كله لكي يزورك. ثم إنه لطيف الحديث، وأخباره كل يوم في الصحف في باب الاجتماعيات، ولكنها أخبار لا تشين.

توقفت مسز «**مانسون**» عن الإنصات إلى حديث «**إيما**». فثمة أشياء أخرى تؤثر أن تصغي إليها.

لقد فتح الباب الخارجي، وها هم يسيرون في الردهة الصغيرة الخالية من السجاد. والآن يمشون فوق السجاد. وبعدئذ تناهت إلى سمعها أصواتهم. وها هو ذا صوت «**رالف**» يحييهم. ثم فتح باب آخر. باب المكتبة. إنهم سيتناولون كأساً من الشراب قبل أن يصعدوا إليها، متظاهرين رياء بالمرح، راسمين على وجوههم تلالاً من الابتسامات:

ـ آه. إنك رائعة اليوم. إنك في صحة جيدة..! إنه لتقدم سريع..! لو استمر التقدم على هذا المنوال لكان في وسعك أن تخرجي في عيد الميلاد.!

تخرج.؟ ولكن إلى أين؟ ومع من. مع ابنها «**روبي**».!

كان دكتور «**بابوك**» يحثهم دائماً على أن يتحدثوا بهذا الأسلوب. وكان هو نفسه يتكلم بالطريقة ذاتها ـ باسمين، ضاحكين، كأنما لا شيء يشغل بالهم. ولكنها لمحت النظرة التي وجهها دكتور «**بابوك**» إلى «**رالف**» منذ أيام. لقد تطلع إليه «**رالف**» مستفسراً بعد أن فحصها، وهز الطبيب رأسه وهز كتفيه كما رفع حاجبيه إلى أعلى ومط شفتيه. كانت إيماءاته هذه تقول في جلاء: «لا أمل.! لا أمل إطلاقاً إلاّ بمعجزة».

كانوا جميعاً يترقبون معجزة، يترقبون أي تغيير. لقد استشفت هذا من نظراتهم، وعرفته من أحاديثهم.. كانوا يتحدثون عنها كأنها ماتت فعلاً وأصبحت جثة هامدة كانوا يتطلعون إليها ليروا إن كان قد

طرأ عليها أي تغيير. ولكنها كانت حريصة على أن تخفي عنهم دلائل المعجزة. . لو أن تغييراً حدث فإن عليها أن تخفيه. وهي دون شك أشد منهم مكراً.

إن أبسط العلامات قد تنبىء باقتراب المعجزة. أي تقلص مهما كان بسيطاً، هزة في الأصبع، أو توتر في عضلة من عضلات الجسم. لو أن هذا حدث لانتشر الخبر خلال لحظات في كل ركن من أركان البيت، بل في كل ركن من أركان البلدة. ولو أن هذا حدث لكان «النهاية» بالنسبة إليها.

«هل عرفت بما حدث لمسز «مانسون»؟ تصوروا أنه بدت عليها دلائل الشفاء، وفجأة.».

ونظرت إلى السجادة المفرودة على حجرها وعلى ساقيها. وكانت عيناها تناديان وتصرخان: «إيما». «إيما». !

ولاحظت «إيما» نظراتها المركزة على السجادة.

وقالت مزمجرة:

ـ لم تحملقين في السجادة.؟ لكأنك تريدين أن تلتهميها.! هل معنى نظراتك أنك تحسين برداً.؟ لا أظن فإن وجهك هادىء لا تبدو فيه قشعريرة البرد. . ومع ذلك فإن من واجبي أن أتحسس يديك لأرى إن كانتا باردتين آه. . هذا إذن هو السبب. إن يدك تكاد أن تتجمد. حسنٌ. سوف أغطيها إذن بالسجادة. يا لك من مسكينة يا سيدتي العزيزة.!

وأسرعت «إيما» فغطت اليدين المثلجتين بالسجادة.

ولكن هذا لم يكن هو الذي تبغيه المرأة المشلولة. . كان ما تريده الآن هو أن تغادر «إيما» الغرفة ولو دقيقة واحدة. إنها تريد أن تخلو بنفسها بضع لحظات. ولكن كيف يمكن أن توحي إلى «إيما» بما يدور في نفسها. . لقد قرأت فيما مضى أن المرء يستطيع أن ينقل خواطره

إلى شخص آخر إذا ما استطاع أن يركز تفكيره على هذا الشيء المعين.

كان هدب السجادة السميك المتصلب مستقراً الآن في راحة يدها. وأطبقت عينيها. وأخذت تحلم بما سوف يكون.

وفي هذه اللحظة دخل الأربعة إلى مخدعها من الباب الذي لم يكن واقعاً في مجال نظراتها. كانوا أربعة هُمْ «رالف» زوجها و«بروس» و«جورج بيري» ومس «سيلز»، ولكن كان معهم شخص خامس. شخص غريب. وانتزعت نفسها من رحلتها الحالمة، وفتحت عينيها حين أحست أنهم اصطفوا أمام مقعدها. وعندئذ عرفت من يكون الخامس. إنه دكتور «بابوك». واستطاعت في شيء من الجهد أن تدور بعينيها حتى استقر بصرها على قدمي طبيبها. وعندئذ عرفت أن الجو كان ممطراً، فقد لمحت آثار البلل على حذائه.

وقالت مس «سيلز» في نبرة مرحة مبتهجة!

ـ سنقضي معاً سهرة ممتعة بمجرد أن يشعل «جورج» نار المدفأة. ها هو «جورج» معنا، وهو يقول إنه يريد شراباً، ولكننا سنقدمه إليه مقابل عمل ينجزه. ومعنا شخص آخر قابلته في المحطة، فهل نقدم إليه شراباً هو أيضاً.؟

.. إن مس «سيلز» سعيدة مبتهجة. إنها تحب أحد هؤلاء الأربعة، فمن يكون يا ترى.؟ بهذا حدثت المشلولة نفسها.

وكانت مع «رالف» صينية فوقها أقداح الشراب.. ووضع الصينية على المنضدة ذات العجلات. ومنضدة الأدوية وأدوات التجميل. وسمعت أزيز الأخشاب وهي تحترق. إنهم إذن يشعلون المدفأة الآن. وسمعت رنين ضحكة مكتومة. إنها مس «سيلز» و«جورج» يضحكان. إذن فـ«جورج» هو الذي تحبه.

ومال «بروس» يقبل وجنتها. قائلا: «كيف حال طفلتنا العزيزة

اليوم. ؟». وسحب يديها من تحت السجادة وأخذ يدلكهما في رفق، وهو يبتسم في وجهها ابتسامة حانية رقيقة.

وقال لها ضاحكاً:

ـ لقد بدأنا نتناول الشراب في المكتبة، ثم جاء الدكتور «بابوك» ونصحنا بأن نشرب اللبن. لقد قال إن اللبن هو الشراب الوحيد الذي يصلح للأطفال من أمثالنا وللبنات أمثالك.

وأغرقوا جميعاً في الضحك.

كانت شراريب السجادة الآن فوق ركبتيها. ولكن ما الفائدة. ؟ لقد تبددت الاحتمالات الرائعة التي كانت تدور في رأسها وتحلم بها.

ولم ينتظر دكتور «بابوك» الآخرين، وإنما رفع كأسه إلى شفتيه، وأفرغه في جوفه جرعة واحدة ـ نخب الآخرين. ثم مصمص شفتيه قائلاً: «هذا حقاً هو الشراب الذي يصلح للأولاد».

وضحكوا مرة أخرى. وحتى «إيما» ضحكت، وقالت:

ـ إنك لم تصف لي أبداً يا دكتور دواء مثل هذا. !

وأغرقوا جميعاً في الضحك من جديد.

ودار «رالف» بالشراب على الحاضرين ويسكي الصودا في أقداح بللورية من النوع الفاخر. إنها الأقداح التي اشترتها بنفسها منذ أقل من ستة أسابيع من محلات «تيفاني». نعم. إنها ستة أسابيع ليس إلاّ. في اليوم الذي تناولت فيه طعام الغداء مع ابنها «روبي» في فندق «بلازا».

وجاء «رالف» بقدح اللبن، وأدناه من وجهها، وكانت الشفاطة في يده الأخرى.

وقال:

ـ كفى شروداً يا حبيبتي. هذا احتفال نقيمه من أجلك. والآن خذي شفطة صغيرة من يد رجلك العجوز.

ولكنها أطبقت شفتيها وزمتهما. ومضى يلح عليها ويدللها.
وقال:
- هيا يا عزيزتي. إن «بروس» هو الذي أعده بنفسه هيا. هيا. انظري. إنه لذيذ جداً. سآخذ شفطة لنفسي.
وكان الألم بادياً في وجه «بروس». وقال في صوت ضاحك.
- ما معنى هذا.؟ هل أنت ذواق السموم الذي كان يستخدمه الملوك قبل أن يلمسوا طعامهم؟!
أوه.! يا لها من نكتة.! ما كان ينبغي أن يتحدث عن السموم. ما كان له أن يقول شيئاً كهذا.! بهذا أخذت مريضتنا تحدث نفسها.
وفي حركات سريعة عبرت مس «سيلز» الغرفة، وتكلمت في نبرة غاضبة. قالت لهم إن مثل هذا الحديث ما كان يليق أن يصدر عنهم. ما كان ينبغي أن يذكروا السموم.
وأمسك «رالف» و«بروس» بكلتا يديها في رفق، وأخذ «رالف» يعتذر إليها في ذلك. اصفحي عنا. لقد كنا أحمقين. إننا ننسى أحياناً ما ينبغي أن يقال وما لا ينبغي أن يقال.
وقبل «بروس» يدها، وفي رفق وضعها فوق السجادة، ثم أخذ اللبن من رالف ودس الشفاطة بين شفتيها.
وطاب لها مذاق اللبن. كان مجرد لبن ممزوج بالروم مع قليل من القرفة. كان يجب أن تدرك أن لا شيء في اللبن غير هذا. يا لها من فكرة سخيفة. فكرة السم.
وجاءت «إيما» مهرولة. وقالت إنها ستجهز العشاء. إنه لحم مشوي لذيذ. سوف يعجبكم اللحم. والآن ماذا تريدين أن تأكلي.؟ إنني استطيع أن أدرك ما يدور في ذهنك.
هيا ركزي ذهنك. انقلي أفكارك إلى «إيما» عبر الأثير. ركزي على يديك وعلى السجادة. إنني أريد يا «إيما» أن تضعي يدي تحت

السجادة. عند الهدب. عند الشراريب..

والتفوا حولها وحول «إيما»، مترقبين متطلعين. هل تستطيع «إيما» حقاً أن تقرأ أفكار المشلولة التي لا تنطق، فتعرف ما تطلبه للعشاء.

وقال الدكتور «بابوك»:

ـ يحسن بك يا «إيما» أن تنصرفي. إنك ترهقينها.

وقالت «إيما» في لوم وعتاب:

ـ إنني أعرف ما تريد. ألا ترون أنها تركز بصرها على يديها.؟ إنها تريد مني أن أغطي يديها. أن أضعهما تحت السجادة. لقد اكتشفت هذا بعد ظهر اليوم، وبدا عليها الارتياح حين غطيت يديها بالسجادة. إنهما باردتان لا حرارة فيهما ولا حيوية. انظروا.

وفي صوت حازم قالت «إيما»:

ـ هيا. فلنحول مقعدها ولنقربه من المدفأة. إنها ستكون سعيدة بالدفء. سعيدة بوجودكم حولها. ولكن خفضوا من أصواتكم وضجتكم.

وانبرت مس «سيلز» تقول:

ـ إنني أريد أن أعرف من تكون الممرضة هنا؟. أنا أم أنت؟. هل أريتني مؤهلاتك العلمية يا سيدتي؟.

ضحكوا جميعاً، ودفعوا بمقعد المريضة يدنونه من المدفأة، ثم غادروا الغرفة إلى قاعة الطعام، وإلى أذنيها كان يتناهى صليل الكئوس. تلك الكئوس التي ابتاعتها من أحد محلات الشارع الخامس حين دعاها «روبي» إلى تناول الغداء معه.

وسألت ابنها «روبي» لم يرهق نفسه بالعمل في البنك؟ لقد ورث عنها ضميرها الحي. ولكنه لن يكون في حاجة إلى هذا العمل المضني. إن في وسعه أن يسافر إلى «أوروبا» بعد عام، وأن يتفرغ للكتابة. إن

الكاتب لا يحتاج إلا لرزمة من الورق وقلم يكتب به.

وفي طريقها إلى فندق «بلازا» لمحت صورتها في واجهة أحد المتاجر. راقت لها صورتها وقالت في نفسها:

- إنني لا زلت جميلة. إنني أبدو فتاة في الثلاثين واجتازت عتبة الفندق وهي معجبة بنفسها، وتلقاها رئيس الجرسونات مرحباً، وقال لها إنّ مستر «كوري» (ابنها «روبي») أخطرنا تليفونياً بأنه سيحضر بعد عشر دقائق.

وتناولت قدحاً من شراب خفيف. وبينما هي تحتسي جرعة منه جاء «روبي». وعرفته من خطواته حتى دون أن تستدير. ودنا منها يقبلها.

وتحولت إليه تتأمله، وبدت الدهشة في عينيها، وهتفت به.

- «روبي». ما الذي دهاك؟. إنك غير حليق اللحية، فلم أهملتها؟

- لقد شغلني العمل عن الحلاقة.

- أرجوك يا «روبي». لا تخف عني شيئاً. صارحني بالحقيقة.

وقال إنه متعب ولا شيء غير هذا. كل ما هنالك أنه متعب. ثم لاذ بالصمت بعدها لا يقول شيئاً.

وأخذت الأم تتحدث إلى ابنها. أفضت إليه بكل ما يدور برأسها. حدثته بالتفاهات والسخافات والأشياء الصغيرة التي لا تهم أحداً. حدثته عن المناشف الجديدة التي اشترتها والكئوس الجديدة ولكنه كان شارد الذهن لا يصغي. لا بد أنه مريض.

- «روبي». مِمَّ تتألم!. أين تحس الوجع.؟ لا تكن طفلاً. هل أنت مصاب بالمصران الأعور. هل هو قلبك.؟

وقال ضاحكاً:

- إنني لست مريضاً. أؤكد لك أنني بخير.

وأدركها اليأس واستسلمت. لا داعي لأن تلح عليه بالسؤال. الليلة ستذهب إلى مخدعه وتخلو به، وتوجه إليه ما تشاء من الأسئلة.

وسألته:

- هل ستتناول عشاءك الليلة في البيت يا «روبي»؟

- أعتقد ذلك.

وكان هذا هو كل شيء. غداء حزين صامت. واستقلت سيارتها، ورجعت إلى بيتها.

في تلك الليلة دخلت «أليس بيري» إلى غرفة ابنها، وكان «جورج» جالساً في الفراش يقرأ، وتطلع إلى أمه صامتاً دون أن يتكلم.

وسألته:

- ما لي أراك متجهم الوجه..؟

- أسناني تؤلمني.

- عليك إذن أن تعرض نفسك على الطبيب.

- وما الداعي.؟ سيزول الألم من تلقاء نفسه.

- إنك تتصرف أحياناً كالأطفال. إن لدي دواء مسكناً فاستعمله اليوم، ولكن عليك أن تزور الطبيب أول شيء في الصباح.

ودارت بالغرفة تنسقها، وتصلح من وضع المقاعد.

- هل زرتها اليوم.؟ كيف حالها الآن.؟

لم يكن في حاجة إلى أن يتطلع إلى أمه ليعرف إلى أين تتجه بنظراتها عبر النافذة.

وأجاب:

- نعم. زرتها اليوم. وتناولت بضعة كئوس من الشراب. إن حالة مسز «مانسون» لم تتغير.

- أما زالت عاجزة عن الحركة.؟ مسكينة هذه المرأة.

ـ طبعاً مسكينة، فهي لا تتحرك ولا تتكلم.

واستطردت الأم تقول:

ـ إن «رالف مانسون» لا يحدثني بشيء عنها، و«بروس كوري» لا يقل عنه سوءاً. إنني أستفسر عنها تليفونياً كل يوم تقريباً، ومن حين لآخر أتردد على البيت بنفسي. إنني أعرف «نورا مانسون» منذ أن كانت «نورا كوري» عند زواجها بمستر «كوري». وقد ذهبت لزيارتها إذ ذاك عندما حلت بهذا البيت، وقد صحبتك معي وأنت ما زلت صبياً صغيراً، وكان «روبي» لا يصغرك إلا بأعوام قليلة. و«رالف» و«بروس» يعرفان هذا تماماً، ولكنهما يتصرفان أحياناً كأنما لا يريدان مني أن أطرق باب البيت.

وعقب الابن بقوله:

ـ لا داعي لتجسيم المسألة. إنني أعتقد أنهما يريان أن من الأفضل لها ألَّا تقابل أحداً غير أهل البيت لأنها إن بدأت تدرك حقيقة حالتها، فقد يؤدي ذلك إلى انفعال عنيف عندما ترى صديقاتها القدامى.

فقالت الأم:

ـ ما هذا التخريف يا «جورج»؟ إنك تراها وتقابلها، ومع ذلك فإنك لست من محيط الأسرة.

فقال:

ـ هذا صحيح. ولكني غير مرتبط بمسز «مانسون» ارتباطك أنت بها، فرؤيتك أنت لها وهي على هذه الحال يسبب لها انفعالاً قد يؤدي إلى نكسة خطيرة. وهم لا يريدون لها هذا. إنهم يريدون أن تحيا حياتها الجديدة في هدوء دون أن تفكر في الماضي وفيما كانت عليه، حتى لا تقارن بين ماضيها وحاضرها.

ـ «جورج». إن لك أخلاق أبيك. إنك تعاملني كما لو كنت

غبية لا أفهم. إنني أعتقد أن حالة مسز «مانسون» لن تتقدم أبداً.

ـ ولم لا.؟ ما الذي يجعلك تعتقدين هذا.؟

ـ لقد عادها كثير من الإخصائيين القادمين من المدينة فلو كانت لديهم بارقة من أمل لقالوا هذا. ولكنهم يجيئون ويعودون دون أن يتفوهوا بكلمة واحدة تبشر بالأمل. الآن «بابوك» هو الطبيب الوحيد الذي يعودها. إنها فقدت عقلها، أليس كذلك.؟ ومع ذلك فما كان لها عقل يمكن أن تفقده.!

وتناول «جورج» الكتاب الذي نحاه جانباً ووضعه على السرير عند دخول أمه ـ وكانت هذه الحركة منه إيذاناً لها بالانصراف، ولكنها ذهبت هباء.

قالت:

ـ إنك لا ترد يا «جورج»، فهل التهمت القطة لسانك؟

وظلت واقفة عند فراشه، تتطلع إليه وتبتسم.

ـ إنه وجع أسناني. كلا. إنها لم تفقد عقلها.

ـ إذن فما تشخيص حالتها.؟

ـ صدمة عصبية وشلل. وهما مرتبطان معاً. وقد شفيت حالات كثيرة مثل هذه.

ـ حقاً.؟ إنه ليسعدني أن أسمع هذا.

ودنت من النافذة، وجعلت تتحسس الستائر وتتأملها.

ما أجمل هذه الرسومات.! كانت صفقة رائعة. إنني أعرف كيف أتسوق.

ثم أردفت:

ـ لقد ذهب أبوك إلى السينما. لا بد أنه جن حتى يذهب في ليلة كهذه.! لقد سألته عن اسم دار السينما التي سيذهب إليها، فأجابني بأنه لم يقرر بعد. إنه في الحق رجل عجيب شاذ الطباع.

فقال «جورج»:

ـ إنه يحب المطر. إنه يحب أن يمشي تحت المطر.

ـ ويعود وبنطلونه غارق في الماء وثيابه تنضح بالماء. هذا عجيب. إن غرفتها تشع نوراً. أفي مثل هذه الساعة من الليل.؟

ـ إنه المدلك. هذا هو الموعد الذي يحضر فيه. ثم تنام بعد ذلك.

ـ بعد تناول منوم طبعاً.؟

ـ نعم. ما هذا الذي تفعلين.؟ إنني أحب أن أتطلع إلى الخارج من وراء الزجاج.

فقد سمع خشخشة الستائر وهي ترخيها.

وردت: وهل هناك ما يستحق أن تشاهده.

ـ طبعاً هناك ما يستحق المشاهدة. المطر وانسياب قطراته. كما هو شأن أبي.

ـ ما أسخف هذا.! ثم إن النافذة غير محكمة، والستائر هي التي تصد عنك التيار الهوائي. لقد رأيت الفتاة تغادر البيت منذ قليل. رأيتها من نافذة المطبخ، وأعتقد أنها رأتني.

ـ إنها تدعى مس «سيلز» يا أماه. أي مس «ميلي».

ـ اسمعْ يا «جورج». إنك تعرف أني لا أحب هذه الفتاة. إنها ليست من طبقتك. إن لديك الكثير من المميزات، والفضل في هذا إنما يرجع إلي. إنني سأموت غماً إذا أنت وقعت في شباك فتاة عادية كهذه الفتاة.

ـ هوني عليك يا أماه. ثم إنني مصاب بوجع الأسنان، ولا أشعر بميل إلى الحديث.

ـ أتحسبني بلهاء.؟ إنك تريد مني أن أنصرف لكي تهرول إلى مقابلتها. إنك لن تخدعني بادعائك أن أسنانك تؤلمك.

ـ الواقع أنني لم أفكر في هذا من قبل، ولكن بما أنك أوحيت إلي بالفكرة.

ـ «جورج».! إنني لا أستطيع أن أتصور أين تذهب هذه الفتاة ليلاً. لقد تجاوزت الساعة الثامنة والنصف عندما خرجت من البيت. إن الأمر يبدو شاذاً مثيراً للشكوك.

فقال «جورج» وقد ضاق بحديث أمه:

ـ إن هذا يحدث دائماً في ليلة عطلتها. فهي تخرج عادة لتزور أمها، فهي مولعة بها. أما أبوها فكان في حياته من رجال الجامعة. والآن وقد عرفت كل شيء عنها، فهل لك في دعوتها إلى تناول الشاي هنا بعد ظهيرة يوم من الأيام. إن لديها عطلة أيضاً بعد ظهيرة كل يوم.

فقالت أمه في غير اكتراث: حقاً.؟

ـ ولم لا.؟ سأشير عليها بأن تلبس الفستان البرتقالي وعندها لن تفرقي بينها وبين سيدات المجتمع.

وأسعده أن رآها تغادر الغرفة في خطوات غاضبة وهي تصفق الباب وراءها.

ولبث في فراشه برهة يتحسس فكه، ثم هب واقفاً ومضى إلى الحمام، وتناول من دولاب الصيدلية دواء مسكناً، ثم رجع إلى مخدعه.

أزاح الستائر، ومن فرجتها أخذ يتطلع إلى بيت مسز «مانسون». كان المطر قد صنع غلالة رقيقة أمام عينيه ولكن معالم البيت كانت واضحة بأنواره الباهتة.

وانهالت على ذهنه الذكريات. ذكر أنها كانت تقول إنها تحب أن ترقبه هو و«روبي» وهما يلعبان معاً ويمرحان في الحديقة. وكان البستاني قد جاء بسلمه وركنه على إحدى الأشجار وتسلقه، ثم أخذ يهز فروعها فتتساقط

منها الثمار، فيهرعان إلى جمعها.

والآن ها هي غرفتها مضاءة، والنور ينبعث منها. وبدأت الأنوار تنطفىء واحداً بعد الآخر، حتى لم يعد باقياً منها إلاّ مصباح واحد خافت الضوء.

وبدا أمامه شبحان من وراء الباب الزجاجي الأمامي وعرفهما على الفور. هذه المرأة هي «إيما»، أما الرجل فهو المدلك. إنه دميم الخلقة، ولكن «ميلي» قالت عنه إنه يجيد مهنته.

ومضى «جورج» يتابع الرجل بنظراته وهو يستأذن في الانصراف ثم تابعه ببصره أيضاً وهو يعبر الحديقة متجهاً إلى المحطة.

ثم لمح شبح «إيما» وهي تروح وتجيء في البهو. إنها امرأة نشطة لا تكل الحركة، وتؤثر أن تقوم بنفسها بجميع الأعمال، وتكره أن تعتمد على غيرها.

وتحسس «جورج» فكه من جديد. إنه لا شك أحسن حالاً الآن. وارتد عن النافذة، وانطرح على فراشه، وقد نشر الكتاب بين يديه.

كان الهواء يهب في عنف، فتهتز له الستائر، وهو قابع تحت الأغطية، مسلماً نفسه إلى خواطره وأفكاره وحيداً لا يزعجه أحد. وفجأة رن جرس التليفون في الطابق الأعلى. إن الجهاز الإضافي موضوع في نهاية البهو بالقرب من غرفة أمه. ولم يلاحظ «جورج» عدد المرات التي رن فيها الجرس، فقد كان ذهنه شارداً إلى بعيد، عبر الليل الذي يغلفه الظلام، وعبر الحدائق المبتلة الاشجار. كان ذهنه هناك بعيداً عند بيت «سيلز». وفجأة كف التليفون عن الرنين، وغرق البيت في سكون رهيب.

وفي تلك اللحظة كانت «إيما» قد رجعت إلى غرفة مسز «مانسون».

دارت ببصرها في أرجاء الغرفة لتستوثق من أن كل شيء معد وفي موضعه. ها هو الستار مسدل يصد تيار الهواء، والمدفأة تشع ناراً خفيفة. والمقاعد مصفوفة في مواضعها المألوفة. وقدح اللبن فوق المنضدة، وإلى جانبه علبة الحبوب المنومة. لقد حذرت مس «سيلز» أهل البيت جميعاً من الاقتراب من المنوم. إنها هي الوحيدة التي من حقها أن تقرر ما إذا كان ضرورياً أن تتناول مسز «مانسون» حقنة منومة أم لا. هذه مسئوليتها وحدها. ولا تنسوا أن من المحتمل أن تقع حوادث مؤسفة بسبب تدخل الآخرين في عمل الممرضات. وفي برود غمغمت «إيما»: إني لا يمكن أن أخطىء» إني أستطيع أن أزاول التمريض كأحسن الممرضات.

كانت الساعة الموضوعة على رف المدفأة تشير إلى التاسعة والنصف، وفكرت «إيما» في أن هذا هو الموعد المألوف الذي اعتادت فيه مس «سيلز» أن ترجع إلى البيت. إلاّ إذا عاقها المطر. وهذا على أية حال أمر بعيد الاحتمال، فالشباب يجب أن يشق طريقه حتى تحت وابل من الأمطار.

وأخذت «إيما» تفرك عينيها. كان النعاس قد دب إلى جفنيها، وكانت جد متلهفة لأنْ تندس في فراشها الدافىء، تحت أغطيتها الثقيلة، وزجاجات الماء الساخن تبعث الدفء في قدميها. ونفضت النوم عن عينيها، أو على الأقل حاولت. لا بد أن تغسل وجهها بالماء البارد حتى تستفيق وتطرد النعاس. وبهذا حدثت نفسها. ستجري مهزولة إلى الحمام، وتنضح وجهها بالماء، ولن يستغرق الأمر منها إلاّ دقائق معدودات، وليس أكثر من هذا.

كان هناك حمام ملاصق للمخدع، وبينهما باب متصل وذكرت

تعليمات مس «سيلز». أنَّ هذا حمام خاص لا عام، وليس لاحد أن يستعمله. نعم. تلك هي التعليمات ولكنها قررت أن تخالفها. ليس لهذه المتعجرفة مس «سيلز» أن تصدر إليها أمراً.

وألقت نظرة سريعة على الشبح الراقد على الفراش.. يا إلهي. إنها هادئة جداً جداً، وساكنة، كأنما ليس هناك جسد تحت الغطاء. كانت أهدابها الطويلة الفاحمة السواد تكشف الوجه الشاحب في جلاء.

واستدارت لتدخل الحمام الملاصق، ولكنها ما لبثت أن غادرت الغرفة متجهة إلى الحمام الكبير الواقع في الطابق الأرضي.

هبطت مسرعة إلى البهو، وكان البهو معتماً، بل شديد العتمة. واستشفت أذناها أنغاماً موسيقية صادرة من مكتب مستر «رالف» في أقصى البهو. لا شك أن المدلك قدم تقريراً طيباً، وإلا لما أداروا الراديو، فإنهم يبدون متجهمي الوجه حين يكون التقرير متشائماً غير مشجع، ومع أنهم يحاولون خداعها بالبقاء طويلاً في مخدعها والتحدث فيما بينهم عن تقدم صحتها وقرب شفائها ومغادرتها الدار. وهم يرددون هذا في صوت مرتفع حتى يتناهى حديثهم إلى سمعها. كل هذا خداع وأكاذيب يعمدون إليها حين يكون تقرير المدلك سيئاً. نعم. هذا هو ما يفعلون، ولكن حيلتهم لا يمكن أن تخدعني. إن «إيما» لا يمكن أن تنخدع بمثل هذه الألاعيب.

وبلغت البهو، ومشت في خطوات خفيفة خامدة إلى الحمام الواقع في أقصى البهو. لم تكن المناشف قد استبدلت. تلك هي مهمتها، ولكنها نسيت هؤلاء الضيوف الذين جاءوا على غير توقع يتناولون الشراب والطعام. ومالت فوق الحوض، وفتحت الصنبور، ونضحت وجهها بالماء، وشعرت عندها بالنعاس يتبدد، وأنها قد استفاقت تماماً.

كان في أقصى الحمام دولاب مشيد داخل الجدار، كانت تراه

كل يوم، ولقد لاحظت الانبعاجات البادية في ضلفته، وكم من مرة تساءلت عن السبب فيها. وكانوا يتخذون من هذا الدولاب مكاناً لهدايا الأعياد، يختزنونها فيه حتى تحين ساعة الاحتفال بالعيد. واليوم ما عسى أن يحدث وربة الدار طريحة الفراش، وأي عيد يمكن أن يحتفلوا به ومسز «مانسون» مشلولة لا تقوى على الحركة.

وارتدت خارجة من الحمام، راجعة إلى غرفتها، وهي تسير في بطء متمهلة، ورأسها منكس. كانت تحس الآن بحقيقة أمرها. إنها عجوز مهدمة، وهي تعرف هذا معرفة اليقين، ولو أن الموت نزل بها ليلاً، وألفوها جثة هامدة في الصباح، لما أزعجها الأمر، فقد حانت النهاية - ليس الآن، وإنما منذ سنوات.

كانت مصابيح غرفة المريضة مطفأة كلها، عدا مصباحاً واحداً يرسل ضوءاً خافتاً شبيهاً بذبالة الحياة التي تتردد بصددها وصدد ربة الدار.

وأرسلت «إيما» نظرة سريعة دارت بها في أرجاء الغرفة ها هو ذا إبريق الماء، وإلى جانبه الحبوب المنومة فوق المنضدة. ثم تحولت تتطلع إلى ذلك الجسد الهزيل الراقد تحت الأغطية والسجادة. كان الجسد ساكناً. ولا عجب في أن يكون ساكناً بعد أن فقد المقدرة على الحركة. وخيل إليها أنها لمحت شيئاً يتموج فوق السجادة في الموضع الذي تستقر تحته يد المريضة. لا بد أنها واهمة. إنه دون شك انعكاس الضوء.

واستوت «إيما» في مقعدها، وأطبقت عينيها، وما لبثت أن استولى عليها النوم، وغرقت في حلم مخيف أشبه بالكابوس.

وسمعت «إيما» تتأوه في نومها. متعبة منهكة. وانتزعتها التأوهات من حلم جميل أشاع في نفسها شعوراً بالسعادة. كانت تحلم بأن

أصابعها استطاعت أن تلتف حول هدب السجادة، وأنها أصبحت أقوى وأشد صلابة.

وأفاقت على تأوهات «إيما»، وحاولت أن ترتد إلى النوم متشبثة بالحلم الجميل. ولكن بغير جدوى.

وفتحت عينيها، ونظرت إلى «إيما». كانت «إيما» جالسة في ركن معتم، وكانت نيران المدفأة قد انطفأت. وفي موضعها هذا لم تكن ترى الساعة الموضوعة فوق رف المدفأة، ولكن وجود «إيما» في الغرفة معناه أن موعد رجوع مسز «سيلز» لم يحن بعد.

وكانت المنضدة المجاورة لها في مجال نظرها أيضاً. واستقر بصرها على زجاجة الحبوب المنومة، واستطاعت أن تحصيها. إنها أربع حبات فقط، فقد كانت ظاهرة للعين من وراء زجاج القنينة. والجرعة المقررة حبة واحدة يدسونها في فمها. ثم يتبعونها بجرعة لبن ساخن. وكان من عادتها أن ترفض تناول اللبن إذا لم تكن زجاجة الحبوب بمرأى منها وفي نطاق نظرها. فما يدريها أن شخصاً ما قد يدس في اللبن حبة أخرى. وهي حريصة على أنه عند تناولها الدواء يجتمع في غرفتها عدد من الأشخاص. ربما ستة أشخاص.

نعم.. إن في الزجاجة الآن أربع حبات.. ترى هل سيصفون لها دواء جديداً الليلة..؟

ولكن ما هذه الدقات المتتابعة على زجاج النافذة.؟ أهناك من يكتب على الآلة الكاتبة..؟ آه.. هذه قطرات المطر لا دقات آلة كاتبة.

في ذلك اليوم الذي تناولت فيه الغداء مع ابنها «روبي» في مطعم «بلازا» كانت السماء صافية مشرقة، ولم يكن الجو مطيراً.. وبعد أن فرغت من طعامها لم تعد إلى البيت مباشرة، وإنما أمضت ساعة تتسوق وتتفرج على واجهات المتاجر، ثم ذهبت إلى البنك، فقد

يستصحبها «روبي» معه في عودته إلى المنزل، أو «رالف»، أو ربما «بروس».. وابتسمت عندما ذكرت «بروس».. إنه مولع بالنساء، وأغلب الظن أنه وهو في هذه السن سيقع فريسة فتاة صغيرة طائشة.. إن الكهول من أمثاله يذهبون فريسة للفتيات الطائشات.

وعندما توقفت بها السيارة أمام البنك كانت قد فرغت من إعداد مصيدة توقع فيها «بروس».. ستقول له إنها تفتقد النزهات الطويلة التي اعتادا أن يقوما بها معاً.. ستقول إنّ له عندها معزة لا تقل عن المعزة التي كانت لأخيه ـ زوجها الأول ـ ولكن لا.. لا.. مثل هذا الحديث لا يجدي.. وتضرج وجهها احمراراً.. ما عساه يظن بها إنْ هو سمعها تردد في سمعه هذا الكلام.

ودخلت البنك، واتجهت مباشرة إلى المكاتب الواقعة في الجهة الخلفية. واستقر رأيها على أن تقول لـ«بروس» إنها قلقة بشأن «روبي» وأن «روبي» يبدو منزعجاً متوتر الأعصاب، ولعله هو نفسه قد لاحظ ذلك، وسوف أذكره بأنه يمت إلى «روبي» بصلة القرابة. إنه عمه. وسأدعوه لتناول العشاء معنا، وسأرتدي ثوب السهرة العاري المكشوف الذي يخلب الألباب ويبهر البصر.

ودخلت إلى مكتب زوجها وهي سعيدة مشرقة الوجه ولكن «رالف» لم يكن في غرفته. وكانت سكرتيرته مس «هارير» منهمكة في صقل أظافرها، وبدا عليها الارتباك وقالت:

ـ لقد انصرف مستر «مانسون» منذ نصف ساعة.. هل تأمرين بشيء؟..

فترددتْ برهة، ثم قالت:

ـ كلا.. شكراً.. أتعرفين أين ذهب..! هل ذهب إلى النادي أو رجع إلى البيت..؟

ـ إنه لم يصارحني بنيته يا مسز «مانسون»، ولكني أعتقد أنه عاد

إلى البيت، فقد ملأ حافظته بالأوراق، ومن عادته حين يفعل ذلك أنْ. . .

ـ نعم. . نعم. . إني فاهمة.

إنه يحشو الحافظة بالورق، ويعمل في البيت حتى ساعة متأخرة من الليل. . إنه متشبث بأن يكون مديراً تنفيذياً بكل معنى الكلمة.

واستطردت:

ـ ترى هل يتوقف العمل في البنك وتشل حركته إذا أنا صحبت ابني معي. . ؟

وردت مس «هارير»:

ـ إن مستر «روبي» لم يعد إلى البنك بعد الغداء، وقد سمعت مستر «ماسنون» ومستر «كوري» يشيران إلى هذا.

ـ يشيران إلى هذا. .؟ أتعنين أنهما كانا في حاجة إليه ولم يعثرا عليه. . إنهما يعرفان أنه كان معي.

وبدا الارتباك على الفتاة، وأجابت:

ـ إني لا أعرف شيئاً يا مسز «مانسون». . كل ما هنالك أني سمعتهما يسألان عليه، وقد ظنا أنه. . أوه. . إني لا أعرف شيئاً عن الموضوع.

وظنت في نفسها أن السكرتيرة فتاة بلهاء، وإنها لا تدري شيئاً مما يدور حولها.

ـ لا عليك يا مس «هارير». . شكراً لك.

وهمت بأن تقول إنّ ابنها «روبي» يمكن أن يحضر حين يشاء، أو ينصرف حين يشاء، فهذا على أية حال هو بنك أبيه وجده. ولكنها بدلاً من هذا قالت:

ـ سأذهب لمقابلة مستر «كوري» فلعله يصحبني في عودتي إلى البيت.

وهمت مس «هارير» بأن تقول شيئاً عن مستر «كوري»، ولكنها ما لبثت أن بترت عبارتها وابتلعتها قبل أن تلفظها. وفي الوقت ذاته انبعثت واقفة وتناولت حقيبتها وقفازها وهي تقول:

ـ أعرف يا مسز «مانسون» أنك ستسمحين لي بالانصراف. فإنني على موعد عاجل.. موعد عاجل جداً.

ورسمت على وجهها ابتسامة زائفة، وأسرعت تغادر الغرفة في ارتباك.

كان باب غرفة مستر «كوري» مغلقاً، وحين قرعته ولم تتلق جواباً. فتحته ودخلت.. كانت الغرفة خالية ليس فيها أحد. وحين استدارت رأت بالباب كاتباً يتطلع إليها وفي عينيه نظرة هلع، فابتسمت له تحييه، ثم مضت راجعة إلى سيارتها.

وطوال الطريق إلى البيت كانت تردد في نفسها أنها كانت سعيدة هذا الصباح، بل كانت سعيدة جداً.. والمرء إذا سعد صباحاً فأكبر الظن أنه سيقضي مساء حزيناً.. ولكن لماذا..؟ ما السبب..؟ لا سبب على الإطلاق.. نعم لا سبب يمكن أن يثير حزنها.

وبدأت تعد العشاء.. كانت موقنة من أن الرجال الثلاثة سيكونون حاضرين هذا المساء، وسيتناولون الطعام معها، وسترتدي الفستان العاري لتبهر أبصارهم. وما يدريها أنهم سبقوها إلى البيت. ولكن لم يسبقوها..؟ هل الليلة احتفال بشيء ما غاب عنها..؟ عيد ميلاد مثلاً..؟

وعبر النافذة رأت «أليس بيري» تسير في خطوات متمهلة منكسة الرأس.. إن «أليس» لا تبدو اليوم على عادتها مرحة نشطة. وهمت بأن تلوح بيدها تدعو «أليس» إلى الركوب معها في سيارتها، ولكنها ذكرت كلمة قالها زوجها «رالف»، فجعلتها تتابع طريقها دون أن تتوقف.

لقد قال لها «رالف»:

- إذا كان الجو رديئاً فيمكنك أن تدعو إلى مشاركتك سيارتك من تمرين بهن من صديقاتك. أما إذا كان الجو طيباً فأمضي في طريقك، وإلا ظنت صاحباتك أنك تتباهين عليهن بسيارتك الفاخرة. وخاصة النساء من طراز «أليس بيري»، فهي امرأة حسود تنغّص على الناس ما أنعم الله به عليهم.

ولقد ردت على «رالف» بقولها:

- إني أعرف «أليس بيري» منذ كان «جورج» و«روبي» طفلين صغيرين.. إني أحبها، وأنت مخطىء في سوء ظنك بها.

وأدارت رأسها إلى الناحية الأخرى، متظاهرة بأنها لم تر صديقتها، وتابعت طريقها إلى البيت.

ولبت «إيما» رنين الجرس، وفتحت لها الباب.. كانتْ عائدة من السوق لتوها، فلا تعرف إن كان مستر «رالف» أو مستر «روبي» قد عادا إلى البيت أم لا.. كما أنها لا تعرف شيئاً عن مستر «بروس».

وقالت لـ«إيما»:

- سأتصل بمستر «بروس» تليفونياً وأدعوه لتناول العشاء معنا الليلة، فأرجو أن تعدي الألوان التي يحبها..

وأخذت تسرد عليها بعض أصناف الطعام التي يؤثرها مستر «بروس».

ثم صعدت إلى غرفتها واتصلت بمسكنه تليفونياً، ولكن أحداً لم يرد، فاتصلت بناديه، فأنبئوها أنهم يتوقعون قدومه للمشاركة في لعبة البريدج، فتركت له رسالة.

وأعدت الثياب التي سترتديها في المساء، ودخلت إلى الحمام لتأخذ دشاً.

وفيما كان الماء ينساب فوق جسدها تناهت إلى أذنيها حركة في

مخدعها، فهتفت متسائلة: «رالف».. ؟ وجاءها الرد: «إنني «بروس» يا عزيزتي، وسأنتظرك هنا حتى تخرجي».

وقالت:

ـ تصور أني كنت أبحث عنك في كل مكان لأدعوك إلى العشاء.

ـ وهذا هو ما جئت من أجله.

ـ ولكن ما الذي أصاب صوتك.. ؟ هل أنت مصاب بالبرد!.

ـ كلا.. لا أظن.. ولكن لا.. إنني فعلاً مصاب بالبرد.

ـ لدي دواء يشفيك كالسحر. هل جاء «رالف» معك..! أو «روبي»..

ـ كلا.. لقد جئت وحدي.

واستطردت «نورا» وهي في الحمام منهمكة في تجفيف جسدها:

ـ لقد ذهبت اليوم إلى البنك بعد أن تغديت مع «روبي».. والواقع إني قلقة بشأنه فهو يبدو متعباً مكدوداً شارد الذهن. ولكنني لم أجد أحداً منكم في البنك. وهذه السكرتيرة الحمقاء مس «هارير».. الحق أني لا أدري كيف يتحملها «رالف».. ولكن أتعرف أين ذهب «روبي»..!

ورد في اقتضاب:

ـ إنني لم أقابله.. ولكن كيف حالك أنت يا «نورا». لقد مضت فترة طويلة منذ.

فقاطعته:

هذه غلطتك أنت.. اقرع الجرس، واطلب من «إيما» أن تأتيك بكأس من الشراب.

وارتدت روبها المنزلي، وغادرت الحمام، ودخلت عليه المخدع. وحين وقع بصرها عليه لاحظت أن وجهه كان شاحباً جامد الملامح.

وهرعت إليه ولمست وجنته وهي تغمغم:

ـ إنك مريض حقاً..! نعم.. أنت مريض دون شك.. إنني لن أسمح لك بالانصراف الليلة، بل سأستبقيك هنا وأسهر على تمريضك. اسمع يا «بروس».. يجب أن تبادر إلى الزواج حتى بفتاة حمقاء، فإنها على أية حال خير من خادمك العجوز الذي لا يعرف كيف يرعاك وأنت مريض.. إن الرجل يجهل حتى أبسط...

وكان «بروس» يتطلع من فوق كتفها الى ما وراءها.

واستدارت «نورا» ونظرت.. كان «رالف» هو القادم الذي دخل الغرفة.

لم يتكلم «رالف»، وما كانت به حاجة إلى الكلام.

لا يمكن أن يكون الاثنان مريضين في وقت واحد.. بهذا حدثت «نورا» نفسها.. الاثنان معاً..؟ في وقت واحد..؟ هذا مستحيل..! لا بد أن شيئاً قد حدث. لا شك أنهما تلقيا أنباء سيئة، وجاءا الآن ليفضيا إلي بها.. أهو البنك..؟ كلا.. بل إنه «روبي».. نعم.. إنه «روبي».. إنني أعرف ذلك.. قلبي يحدثني بهذا. وغاص قلبها، وشعرت ببرودة قارصة تسري في بدنها.. وترامت متهالكة فوق مقعد أمام المدفأة.

وهمست، وكان صوتها مختنقاً حبيساً:

ـ تكلموا. لا تضيعوا الوقت.. هاتوا ما لديكم.. هل فر هارباً وغادر البلاد..! إنه لا يمكن أن يكون قد مات..!

ـ مات..؟ ما الذي جعل هذا الخاطر يدور بذهنك..؟

كان «رالف» هو الذي تكلم، وكانت سحنته فزعة. وتكلم «بروس».. قال:

ـ عندما تغديت مع «روبي»، هل تكلم معك عنا أو عن البنك..؟

ـ كلا.. ولكنه كان يبدو حزيناً تعساً.. استمر يا «بروس».

وعندئذ بدأ يحدثها ويفضي إليها بما لديه، في حين كان «رالف» واقفاً عند النافذة، مولياً ظهره للغرفة.

أخبرها بأن أكثر من مائتي ألف دولار قد اختلست من البنك خلال عامين، وأنَّ الاختلاس دبر بطريقة غاية في الحذق والدهاء، بحيث لم يكتشف الأمر إلاّ بالأمس. ولم يكن هناك شك في أن «روبي» هو المختلس، وأن مجلس الإدارة مقتنع بذلك تمام الاقتناع.

وقد طلب «بروس» و«رالف» من مجلس الإدارة مهلة بضعة أيام، وكانا ينويان أن يتحدثا إلى «روبي» في الأمر، وهذا ما جاء بهما معاً اليوم إلى البيت، ولكن «روبي» لم يعد بعد الغداء، وهذا ما قيد تحركهما وبعث فيهما شيئاً من الخوف.

وقال «بروس»:

ـ وقد بحثنا عنه في الأماكن التي اعتاد أن يتردد عليها فلم نجد له أثراً، وهذا ما حدا بي إلى القدوم اليوم إلى البيت، لأني كنت واثقاً أنه سيحضر هنا، على الأقل لكي يراك.

ثم أردف:

ـ لا أعتقد أنه فر هارباً.

فقالت أمه:

ـ لا أظن.

ـ يبدو أنه بدأ يختلس منذ ألحقناه بخدمة البنك. إننا على أية حال سنهيء له كل فرصة ممكنة.

فقالت الأم في إصرار:

ـ ابني ليس لصاً.

ـ وهذا ما أتمناه أنا أيضاً. ومع ذلك فسوف تنكشف الحقيقة عاجلاً يا «نورا».. إنه سيصارحنا بما حدث، فليس من عادته أن يكذب.

ـ إنه ليس لصاً.. إنه لا يعرف حتى كيف يختلس.. هيا اذهبا وابحثا عنه في كل مكان.. لا داعي لبقائكما هنا لحظة واحدة.

وقال «بروس» إنه جاء بقطار الثالثة، وفتح الباب بالمفتاح الذي ما زال يحتفظ به منذ أيام أخيه، وصعد إلى مخدع «روبي» فوجده خالياً، فخرج يتمشى قليلاً، ثم رجع إلى البيت.

وقال «رالف» إنه جاء بالقطار التالي، ولم يجد «روبي» في غرفته، فاختلى بنفسه ليفكر ويتدبر الأمر.

وقالت: استدعوا «إيما».

ودق أحدهما الجرس، وجاءت «إيما» وفي يدها قائمة الطعام، وهمت بأن تقرأها بصوت عال: «المشهيات أولاً.. وفي مقدمتها..» ولكنها قوطعت في لهجة صارمة.

وسألتها ربة الدار:

ـ هل رأيت «روبي»..؟

ـ لقد أخبرتك أنني لم أقابل أحداً بعد عودتي من السوق ولكني أعتقد أنه كان في البيت، فقد أخبرتني «هاتي» أنها سمعت دقات الآلة الكاتبة في الغرفة المسحورة.

فقال «بروس» في دهشة:

ـ الغرفة المسحورة..؟

ـ نعم الغرفة المسحورة، فهو يحتفظ بآلته الكاتبة هناك.

ـ سأبحث عنه هناك وسأعود بعد لحظات.. يمكنك أن تنصرفي يا «إيما».. هذا هو كل شيء.

وقالت:

ـ ليس هذا كل شيء.. إن من حقي أن أعرف ما يجري هنا.. إني أرى سحنتكم مقلوبة، فما الذي جرى..؟

ووقفوا جميعاً أمام باب الغرفة المسحورة يرقبون «رالف» وهو يدير مقبض الباب.

كان الباب موصداً. وقال «رالف»:

ـ لا ريب أنه أخذ المفتاح معه.

وكان صوته مختنقاً مبحوحاً كمنْ يكتم صرخة انحشرت في حلقه.

وصرخت: افتحوا الباب.. حطموا القفل.. افتحوا الباب.

وجرى «بروس» إلى الطابق الأرضي، وعاد بعد لحظات خالوها دهراً، وفي يده صندوق أدوات النجارة.

ودق جرس الباب الخارجي، وتردد رنينه عالياً وسمعت نفسها تصرخ عالياً:

ـ سأدفع المطلوب.. سأدفع المبلغ المطلوب.. إني أعرف أنه لم يأخذ شيئاً.. ولكنني سأدفع.. سأدفع.

وهتف «بروس»:

ـ أرجوك أن تكفي عن هذا.. فلينزل أحدكم وليصرف هذه المرأة.. مسز «بيري».. لقد رأيتها واقفة وراء الباب الزجاجي.

وأخذوا يعالجون الباب بأدوات النجارة.. وجعلوا ينادون اسمه.. ويتوسلون.

ومضت الأم تنادي ابنها.. كانت تناديه بقلبها.. كان اسمه مرتسماً على شفتيها.. حرفاً بجانب حرف، ولكنْ لم يكن هناك صوت يتسرب من بينهما.. وكان وجهها متضرجاً احمراراً كأنما يوشك أن يتفجر دماء.

هكذا طافت الخواطر في رأسها وتدفقت..

والآن وقد انهالتْ عليها الذكريات بدأت عضلاتها وأعصابها تستجيب.. إنها الآن تستطيع أن تزم شفتيها، وحتى الأمس ما كانت تستطيع أن تفعل هذا.. بالله عليك لا داعي للاستغراق في

الأحلام.. لا داعي للاستسلام للأمل فقد يكون الأمل كـاذباً.. عندما يحين الوقت المناسب ستعرفين الحقيقة من تلقاء نفسك.. ركزي على الحقائق وحدها، ودعيك من الأماني والأحلام.. الحقائق المادية: الفراش.. المصباح.. إبريق اللبن.. إناء الماء.. وإياك أن تتناولي الدواء إلاّ إذا استطعت أن تعدي الحبوب حتى لا يضيف أحد إلى الزجاجة حبة محشوة بالسم. تذكري هذا دائماً، ولا تتناولي حبة إلاّ من يد مس «سيلز» دون سواها.. إذا استطعت أن تتكلمي، فما عسى أن تكون أول كلمة تنطقين بها..؟ وإذا تهيأ لك أن تمشي، فإلى أي جهة تتجهين بأول خطوة تخطينها.

نعم.. فكري في الحقائق المادية دون سواها.. هذه الغرفـة حقيقة مادية، فلها جدران وسقف وأرضية.. ومن الحقائق المادية أيضاً إبريق اللبن وزجاجة الماء، وحاجز البارافان المزخرف بطيور تطير في السماء، وسماء تشوبها الغيوم، وشجيرات ذات زهور حمراء. وهناك طائر أسود راقد في عشه في أسفل الحاجز. ولكن أين الطائر الصغير الذي في العش..؟ لا بد أن يكون في أسفل البارفان، بالقرب من الأرضية.. هيا ابحثي عنه.

ما هذا..؟ تحت الحاجز المزخرف كانت مستقرة على الأرض يد مكسوة بالقفاز.. تحت إطار الحاجز كانت هناك يد صفراء غليظة، أصابعها متباعدة عن بعضها. ورأت يداً أخرى تبرز من وراء الحاجز، وتزحف على الأرض، وتستقر بجانب اليد الأولى. وتحركت اليدان يميناً، ثم ارتدتا راجعتين ناحية الشمال.

وتحركت شفتاها قليلاً، وانفرجتا دهشة.

وزحفت اليدان إلى نهاية اطار الحاجز، وتوقفتا هناك.

وفجأة ظهرت يد ثالثة فوقهما، وتحركت اليد الثالثة إلى أعلى فوق الإطار، ثم ما لبثت أن امتدت يد رابعة.

أربعة أياد، كلها صفراء سميكة الأصابع. تزحف، وتتلاقى، وتتباعد.

وهناك في البيت المجاور كانت مس «سيلز» الممرضة قد انتصبت واقفة تزمع الانصراف من بيت أمها.

قالت الأم:

ـ ليت شعري ما الذي جعلك تعجلت بالانصراف؟ إن الساعة لم تبلغ بعد العاشرة والنصف، وعطلتك حتى منتصف الليل.. لقد صنعت هذه الكعكة خصيصاً لأجلك ومع ذلك لم تتناولي منها إلاَّ قطعة صغيرة.

ـ إني حريصة على قوامي يا أماه.

ـ ولكن الجو مطير الليلة، فإلى أين تذهبين؟

وكانت مس «سيلز» تدرك ما ترمي إليه أمها فأجابت:

ـ إنك تعرفين أن «جورج» يشكو من ألم في أسنانه:

وهزت الأم رأسها وقالت:

ـ «جورج» يتوجع من أسنانه، ومسز «بيري» لن تسمح له بالخروج الليلة، فإلى أين تذهبين إذن..؟ ولكن خبريني. أتنوين حقاً أن تتزوجي هذا الفتى.؟ أو لعلك ترين أنني بهذا السؤال أتدخل في شئونك الشخصية.؟

ولاذت «ميلي» بالصمت، ولم تنبس ببنت شفة:

واستطردت الأم:

ـ اسمعي يا «ميلي». إياك أن تتزوجي إلاَّ إذا استطعت أن تدبري لنفسك مسكناً خاصاً تقيمين فيه. نعم. لا تتزوجي إلاَّ بعد أن يصبح في استطاعته أن يعولك.

ثم أردفت متسائلة:

ـ أكان هذا هو «جورج» الذي تحدثت إليه منذ قليل.؟

ـ نعم.
ـ إنني لم أسمع ما دار بينكما لأنك خفضت صوتك وأنت تتحدثين إليه. وليت شعري ما الذي يجعل الفتاة تخفي عن أمها ما يجري بينها وبين صاحبها.
وضاق صدر «ميلي» بهذا الحديث، وقالت متبرمة:
ـ إنني لم أخفض صوتي وأنا أتحدث إليه لسبب بسيط جداً، وهو أنه كان غائباً عن البيت.
فقالت الأم في تهكم وسخرية:
ـ وهذا هو المصاب بوجع الأسنان. !
واستدارت «ميلي» متجهة نحو الباب وهي تقول:
ـ طاب مساؤك يا أماه.
ولم ترد الفتاة على ملاحظة أمها، وإنما قالت:
ـ سأمر على محل «مارج» لأعيد إلى المكتبة كتاباً استعرته، ثم أمضي بعدها مباشرة إلى طفلتي المريضة العزيزة.
وأغلقت الباب وراءها، وتابعت طريقها.
كان المطر لا يزال يتساقط، والحشائش القائمة على جانبي الطريق مبتلة نضرة. وأسرعت «ميلي» الخطى، ومظلتها منشورة فوق رأسها اتقاء للمطر.
وأخيراً انتهت إلى متجر «مارج»، وتلقتها المرأة الطيبة القلب بقولها:
ـ يا إلهي. ! ما الذي يخرجك في مثل هذا الطقس الرهيب. ؟
ودفعت إليها «ميلي» بالكتاب الذي في يدها وهي تقول:
ـ شكراً لك. هاك كتابك، وبعد أيام سوف أستعير كتاباً آخر.
ـ الحق أنك ولوعة بالقراءة، والرأي عندي أن تشتركي في مكتبة «كارينجي» المجانية، بدلاً من أن تبددي نقودك في استعارة الكتب.

ولكن كيف حالك يا عزيزتي.؟

ـ حال يؤسف لها. وأمي تعترض على زواجي بـ«جورج» قبل أن تستقيم أحواله المالية، لكنها وعدتني على أية حال بأن تهديني أغلب ما لديها من فضيات، فبأي شيء تنصحينني.

فابتسمت المرأة وقالت:

ـ إنها حياتك أنت ومستقبلك، وأنت أقدر الناس على أن تكيفي موقفك. هل أنت على عجل، أم تؤثرين أن تجالسيني قليلاً؟

ـ بل سأجلس بعض الوقت، فإن عطلتي هذا المساء تمتد إلى منتصف الليل.

واستوت «ميلي» على أحد المقاعد، ومدت ساقيها أمامها مسترخية.

وقالت «مارج»:

ـ والآن هيا حدثيني بما في نفسك يا «ميلي»، فإنك تعرفين أنني امرأة كتوم لا أفشي سراً.

فقالت «ميلي» ضاحكة:

ـ ولكن لا أسرار لدي حتى أفضي بها.

فقالت «مارج»:

ـ أما أنا فلدي ما أحدثك به. لقد جاءت والدة «جورج بيري» تشتري بعض المجلات، وكانت طوال الوقت تثرثر بصوت مرتفع، وتقول إنّ ابنها «جورج» هو النور الذي يملأ بيت مسز «مانسن» بالحياة، فهل هذا صحيح؟

كلا بالطبع. فإنها لا تكاد تراه أو تنظر إليه أثناء وجوده في الغرفة. إن نظرها ثابت في اتجاه واحد، فهي لا تقدر على أن تحرك رأسها.

واستطردت المرأة تقول:

- ولقد سألتني مسز «بيري» عنك. إنها تريد أن تعرف مدى صداقتي بك. وهذا هو نص سؤالها:

«هل أنت على صداقة متينة بهذه الممرضة التي تعمل عند مسز «مانسون»؟ إنني أعتقد أن مسز «مانسون» قد أصبحت شديدة التعلق بها. وأغلب ظني أنها أصبحت الآن تحبها.

فقالت «ميلي» وهي تهز كتفيها في استخفاف:

- إنها لا تكاد تعرفني. إنني عندها مجرد شبح يتحرك في الغرفة.

ومضت «مارج» في حديثها قائلة:

- إنها تعتقد أيضاً أن «بروس كوري» وسيم جداً، وقد ألمحت إلى أنه يميل إلى مسز «مانسون» حتى قبل أن تتزوج أخاه. وها هو ذا الآن يحوم حولها، ويتردد على بيتها كل يوم تقريباً، متذرعاً بمرضها. نعم. هذا ما قالته بالحرف الواحد. ألا لعنة الله عليها وعلى حكاياتها الغرامية. ولكن خبريني. هل حالة مسز «مانسون» ميئوس منها.؟ هل ستموت؟

فقالت «ميلي»:

- هذا علمه عند الله، ولكنني أبذل في رعايتها أقصى جهدي. إنني ممرضة أجيد مهنتي، وهذا ما يعتقده الدكتور «بابوك». إنني أحب مسز «مانسون»، وأتمنى أن تشفى عاجلاً وأحاول دائماً أن أرفع من روحها المعنوية. ومنذ أيام عقصت لها شعرها وجملت وجهها، وأردت أن أزينها بجواهرها وحليها، ولكني قرأت في عينيها أنها تنفر من التحلي بها. وقد اخبرتني «إيما» أن السبب في نفوزها هو أنها كانت تنوي أن تتحلى بها في اليوم الذي مات فيه «روبي».

- ولكن هل «إيما» لطيفة معك، أم أن وجودك في البيت يضايقها.؟

- إنها امرأة طيبة القلب.

وبعد سكتة قصيرة عادت «مارج» إلى ثرثرتها. وقالت:

ـ لقد زارت إحدى السيدات متجري بالأمس واستفسرت عنك.

ـ حقاً.! ومن تكون هذه السيدة يا ترى.؟

ـ لا أدري، فإني لا أذكر أنني رأيتها من قبل. كما أنها ليست من زبائني، وإن كان وجهها ليس غريباً عني. ولكنها على أية حال لا تعرف اسمك. كل ما هنالك أنها أرادت أن تعرف إن كانت لي معرفة بهذه الممرضة التي ترعى مسز «مانسون».

فقالت مس «سيلز»: لعلها من معارف الأسرة ولا تريد أن تتوجه إلى البيت للاستفسار عن صحة المريضة، لما يثيره ذلك في النفس من أحاسيس محزنة.

فهزت «مارج» رأسها نفياً وقالت:

ـ الذي أعتقده أنها كانت مهتمة بك أنت شخصياً.

ـ هذا عجيب. إني أكاد لا أعرف أحداً غير أهل هذه البلدة. ولكن ما الذي ذكرته عني.؟

ـ لا شيء تقريباً. لقد سألت في البداية عن مسز «مانسون»، وهل صحتها في تقدم؟ وكثيرون من عملائي يوجهون إليّ نفس هذا السؤال، لأنهم يرونك تترددين على محلي. وبعد ذلك أرادت أن تعرف مني عنوان بيتك.. لقد سألتني: «هل تقيم هذه الآنسة في «لارشفيل»، أم أنهم جاءوا بها من «نيويورك». وقد أجبتها بأنك من أهل «لارشفيل»، ثم سألتها في لطف عن السبب في اهتمامها بك فابتسمت ابتسامة عريضة، وقالت إنها تعتقد أنك كنت تمرضين ابنة عمها في أحد مستشفيات «نيويورك». ولكن هذه الحجة كاذبة كما هو واضح.

ـ ولكن ما اسم ابنة عمها.؟ ألم تسأليها.؟

ـ سألتها طبعاً، ولكنها تهربت وتملصت. أتدرين ما أظنه.؟ إنني أعتقد أن هذه السيدة من الثرثارات اللائي يغشين المجالس، ويروين مختلف الحكايات ولعلها أرادت أن تتصدر مجلساً تروي فيه حكاية عن مرض مسز «مانسون»، ولا بد من تدعيمها بذكر اسم الممرضة التي تقوم على رعايتها.

ـ ربما كنت على حق في هذا.

واستطردت «مارج» تقول:

ـ ومع ذلك فثمة فكرة أخرى طرأت ببالي. لعل لهذه السيدة علاقات عائلية بأسرة مستر «كوري»، فقد بلغني أنهم ما زالوا ناقمين على زواج مسز «مانسون» بمستر «كوري»، وهم يزعمون أنها إنما تزوجته طمعاً في ماله وما يدرينا أن هذه السيدة كانت صديقة لمستر «كوري» الذي تزوج «نورا»، ثم أصبحت الآن صديقة لمستر «بروس كوري»، فهم يقولون إنه شديد الشبه بأخيه.

فقالت «ميلي» معقبة:

ـ هذا التعليل جائز أيضاً.

وفرغت مس «سيلز» من احتساء قهوتها وقد أشرفت الساعة على الثانية عشرة إلا عشر دقائق، وأغلقت «مارج» باب المتجر، وانصرفت المرأتان معاً، وكان المطر لا يزال متدفقاً. وعند منعطف الطريق تصافحت المرأتان واتجهت إحداهما إلى بيتها، والأخرى إلى بيت المريضة المشلولة.

فتحت «ميلي» الباب، وأخذت ترتقي الدرج صاعدة إلى الطابق العلوي. كانت أبواب جميع الغرف مغلقة، فيما عدا مخدع مسز «مانسون» الذي كان بابه مفتوحاً. وكان هناك شعاع من الضوء ينبعث من مدخل الغرفة، فيسقط على أرضية الردهة المعتمة، كأنه طريق مرصوف بحجارة بيضاء وسط غابة مظلمة سوداء. ودخلت إلى الحمام

تنظف أسنانها، ثم علقت معطفها ومظلتها، وصعـدت إلى الطابق الأعلى.

ومشت إلى الفراش تتطلع إلى مريضتها. كانت مسز «مانسون» مستيقظة، وكان وجهها شاحباً وعيناها تتألقان.

وفي رقة غمغمت «ميلي» تقول:

ـ هيه. ! لم ظللت مستيقظة حتى الآن. ؟

وذكرت أن الباب المفضي إلى الردهة لا يزال مفتوحاً فارتدت راجعة وغلقته.

وقالت في نفسها:

ـ الآن سيدور بيني وبينك حديث طويل، ولكنه حديث من جانب واحد.

وعادت إلى مريضتها، وهي تقول:

ـ هيه. ! إنك الليلة لست على ما يرام، فمم ساءت حالتك يا حبيبتي؟.

أعني يا مسز «مانسون». ؟

وتلاقت العيون الأربع. عيناها وعينا مسز «مانسون».

وقالت «ميلي»:

ـ لحظة واحدة. كـل شيء في أوانه. إنـك تريـدين شيئاً، وسأحاول أن أخمن، وأرجو أن أعرف ما الذي تريدين. ولكن قبل هذا يجب أن أقيس نبضك.

ودست يدها تحت السجادة، وسحبت يد مريضتها وأمسكت بمعصمها تقيس نبضها. كان يدها باردة، وكان النبض سريعاً.

وهمست «ميلي»: إنك خائفة. خائفة من شيء ما. ولكن ما الذي أخافك. ؟ فهمت. كنت خائفة لأنني تأخرت، ولكن هأنذا قد عدت، فلا داعي للخوف. إنك مضطربة قلقة بشأن شيء ما. ولكن

يجب الآن أن تهدئي.

وجلست «ميلي» على حافة الفراش، وأخذت تتحدث إلى مسز «مانسون» في رقة ونعومة.

ـ أراهن أنني أعرف ما حدث. لا شك أنك حلمتِ حلماً مزعجاً أثار خوفك وانزعاجك. ولكن لا داعي للخوف فقد انتهى الحلم الآن، ولن يعاودك مرة أخرى.

وتطلعت في عيني مريضتها تستشف منها بادرة تفهم منها الحقيقة.

ولكن كان في عينيها شيء آخر. إذن فاستنتاجي خطأ؟ كانت العينان ناطقتين في وضوح. إذن ما الذي حدث.؟

وفركت يد مسز «مانسون» في رقة لتبعث فيهما الدفء كانت اليدان باردتين كالثلج، ولكن الجبين كان ينضح عرقاً. يجب أن أعرف السر. يجب أن أعرف ما أخافها. ترى هل رأت في الغرفة شيئاً أفزعها.؟ ولكن ليس في الغرفة ما يفزع أو يخيف. إذن فهل سمعت شيئاً.؟

ـ اسمعي يا حبيبتي. الآن سأوقظ «إيما»، وأجعلها، تذهب إلى مخدعها. وربما استطاعت «إيما» أن تفهم ما تطلبين.

وتحولت إلى «إيما» وأيقظتها، وقالت هذه:

ـ هيه. ! هل حان موعد نوبتك.؟

وقالت «ميلي» ضاحكة:

ـ إنك كنت غارقة في النوم حتى ظننت أنك تناولت حبة منومة.

فأجابت:

كان السكون شاملاً فاستغرقنا نحن الاثنين في نوم عميق هادىء.

وقالت «ميلي» في نفسها:.

ـ إنك لا تدرين إن مسز «مانسون» لم تذق للنوم طعماً، وإنها خائفة.

وأخذت بذراع «إيما»، وانتحت بها ركناً من الغرفة وسألتها:

ـ من الذي جاء الليلة إلى الغرفة.؟

ـ لا أحد. لا أحد على الإطلاق. هل تحسبينني بلهاء.؟ إنني لا يمكن أن أسمح لأحد بالدخول عليها. الذين زاروها اليوم هم مستر «مانسون» ومستر «كوري»، وقد بقيا في الغرفة دقيقة واحدة، وذلك قبل أن يجيء المدلك.

وسألتها:

ـ هل قال المدلك شيئاً حين كان هنا.؟ هل تحدث عن حالتها.؟

ـ كلا. إنه لم ينطق كلمة واحدة. وأنت تعرفين أنه صموت لا يتكلم أبداً. ولكن لم تلحين بهذه الأسئلة.؟ هل حدث شيء أثناء نوبتي.؟

ـ إن مسز «مانسون» خائفة، وأريد أن أعرف السبب. لقد ظننت في البداية أنها حلمت حلماً مزعجاً، لكنني أعلم الآن أنني مخطئة في هذا الظن إنني أعتقد أنها سمعت شيئاً أزعجها، أو أنها بدأت مرة أخرى تستعيد بعض الذكريات المزعجة. ولكن ما الذي قاله «برايتمان» بالضبط.؟

ـ لا شيء. لا شيء عنها. كان حديثه كله يدور حول الجو، وقال إنّ حياة الريف أجمل من الحياة في «نيويورك». هذا هو كل شيء.

ـ ألم يذكر أشخاصاً معينين. ألم يردد في حديثه بعض الأسماء؟

ـ كلا يا مس «سيلز». كان الذي دار بيننا هو الحديث العادي المألوف الذي اعتدنا أن نطرقه. وإذا كانت قد خافت فقد حدث هذا

بعد انصرافه. إنني واثقة من ذلك. بعد التدليك غسلت لها وجهها ويديها، وكانت هادئة الأعصاب وكان النعاس بادياً عليها، ولذلك خطر لي أنها لن تكون الليلة في حاجة إلى حبة منومة.

وقالت مس «سيلز»: حسناً. يمكنك الآن أن تنصرفي يا «إيما».

ومضت «إيما» إلى فراش مسز «مانسون» فألقت إليها بالتحية، واستدارت منصرفة.

وذهبت «ميلي» إلى الفراش، وتأملت مريضتها. كان الوجه لا يزال شاحباً، والعينان زائغتين.

لا شك أنني مجنونة. بهذا حدثت «ميلي» نفسها.. ما هذه الخواطر التي تدور في نفسي. إنني أشعر كأن عينا مجهولة خفية تراقبني. هل ركبتني الأوهام إلى هذا الحد.؟ الغرفة مغلقة، وليس فيها أحد سوى مريضتي، فأين هذه العين الخفية التي ترقبني وتحصي علي حركاتي وسكناتي؟. أهو ملاك الموت الذي يرقبني؟.

ودارت ببصرها في كل ركن من أركان الغرفة، جاحظة العينين، مرهفة السمع. ولكن الذي رأته هو الأثاث الفاخر وكان الذي سمعته هو السكون المطبق.

ومالت فوق الفراش مبتسمة. نعم. ليس من قواعد التمريض أن يحس المريض أن ممرضته مضطربة الأعصاب.

وقالت تخاطب مريضتها: لقد حان موعد الحبة المنومة.

وتناولت من فوق المنضدة زجاجة الدواء وإبريق اللبن.

واستطردت: سأحضر كوباً آخر لأتناول معك قليلاً من اللبن.

ومضت إلى الحمام المتصل بالمخدع وعادت بعد لحظات تحمل كوباً فارغاً كانت تعرف أن مسز «مانسون» ترقبها وهي ترفع غطاء الإبريق وتملأ القدح وأعادت الإبريق إلى موضعه من المنضدة ثم

تناولت من الزجاجة حبة واحدة منومة ووضعتها في راحة يدها.

كانت تفعل هذا وهي تتحدث طول الوقت.

ـ إذا كان الجو صافياً غداً والشمس مشرقة، فسوف أجلسك في الشرفة. غداً هو الأحد، وأنت تعرفين ذلك دون شك، وسيلزم «جورج» البيت. ولن يخرج طوال النهار. والآن هيا تناولي حبتك المنومة. لا. لا. افتحي فمك أكثر من هذا.

ولكن مسز «مانسون» أبت أن تفتح فمها. لم يكن الأمر منها مجرد تردد أو رفض، بل كان تمرداً واضحاً. لقد زمت شفتيها في عناد، وطبقت عيناها شرراً، وبدت عروق عنقها نافرة متصلبة.

وحملقت فيها «ميلي» في دهشة. ما الذي جعلها تتمرد الليلة.؟ على أن الأمر المهم ليس هو عصيانها، وإنما المهم هو الأمارات الجديدة التي بدت اليوم.

وقالت تخاطب مريضتها: إنك تتحسنين. إن صحتك في تقدم. منذ أسبوع كنت عاجزة عن زم شفتيك. كانت عروق رقبتك لا تنفر. إنك في تقدم مدهش. هل تسمعينني. نعم. إن صحتك أحسن كثيراً.

لم تبتسم مسز «مانسون»، وكانت الابتسامة هي التغيير الذي تتمناه «ميلي». إذا ابتسمت مريضتها فمعنى هذا أنها استجابت للعلاج، وأن حدة الشلل بدأت تخف.

ـ أرجوك يا مسز «مانسون». أرجوك أن تبتسمي ولو مرة واحدة.

ولكن الألم كان واضحاً في عيني مسز «مانسون».

كانت تتعذب. حاولت أن تبتسم، ولكن كان جلياً أنه استحال عليها. أن تبتسم.

وقالت «ميلي» في رقة: دعك من الابتسام يا طفلتي لا داعي لأن تبتسمي.

ونظرت «ميلي» إلى الحبة المنومة المستقرة على راحة يدها. ما عساي الآن فاعلة. إنني لا أستطيع أن أرغمها على تناول الحبة، ولكن يجب أن أفهمها أنني أحبها، وأنّ ما أطلبه منها هو الشيء السليم الذي ينبغي أن يحدث. إن ما أطالبها به إنما هو لصالحها. وقبل كل شيء علي أن أعرف ما الذي يفزعها. ما الذي يخيفها؟.

وقالت تحدث مريضتها: مسز «مانسون». فلندع الحبة المنومة الآن، لكن أرجوك أن تتناولي قدح اللبن. إنني أعرف أنك تكرهين الحبة المنومة رغم أنها تفيدك كثيراً. ولكن أرجوك أن تشربي اللبن هذه هي مهنتي يا مسز «مانسون». أن أرعاك، وأن أجعلك تتناولين الدواء والطعام، وإذا أنا عجزت عن ذلك فسيطردني الدكتور «بابوك»، ولن يستعين بي أبداً وأنا في حاجة إلى هذا العمل لكي أعيش. ثم إنهم سيطردونني ويأتون بممرضة أخرى بدلاً مني، مع أني أحبك ولا أريد أن أفارقك أبداً. أتوسل إليك يا مسز «مانسون» أن تشربي اللبن. إكراماً لخاطري.

وامتلأت عينا مسز «مانسون» بالعبرات، وتجمعت تحت أهدابها الطويلة.

ونحت «ميلي» اللبن، ووضعت القدح على المنضدة، وأعادت الحبة المنومة إلى الزجاجة.

وقالت في لهجة بائسة تفيض أسى:

- إنني أريد أن أساعدك، ولكنني أراني عاجزة لا حول لي. إنني أريد أن أعرف ما تفكرين فيه، ولكن كيف السبيل. ألا يمكنك أن تعطيني إشارة من أي نوع؟. ألا يمكنك أن تنظري إلى أي شيء في الغرفة فأسترشد بذلك إلى ما تبغين؟.

وتألقت عينا مسز «مانسون» أملاً ورجاء. كانت نظرة جلية ناطقة لا يمكن أن يخطئها الفهم.

وهتفت «ميلي» في لهجة سعيدة ناطقة بالابتهاج.

ـ آه. لقد بدأت الآن أفهم. أعتقد أنني فهمت أنك تريدين أن تقولي إنّ في هذه الغرفة شيئاً يخيفك هنا شيء يخيفك. ولكنني لا أعرف ما هو؟

وتلاقت العيون الأربع من جديد، كأنما هي أربع من الأيادي تتصافح وتتماسك. ومشت العيون الأربع معاً، متجهة إلى المنضدة. ولكن لم يكن على المنضدة شيء إلا إبريق اللبن، والقدح المملوء باللبن، وزجاجة الحبوب المنومة. كما كان هناك منديلان مطويّان ـ الأشياء نفسها التي ترى على المنضدة كل ليلة.

لا يمكن أن تكون المناديل هي الشيء الذي يخيفها، فإنها مناديلها دون شك، والحروف الأولى من اسمها مطرزة عليها داخل دائرة من الزهور، ومع ذلك هل المنديل يمكن أن يثير الخوف.؟ وتناولت «ميلي» المنديلين وفردتهما ثم طوتهما.

إنهما فارغان لا شيء داخل طياتهما. إذن فليس المنديلان هما مثار خوف مسز «مانسون».

وبدأت من جديد تتابع نظرات مسز «مانسون» إلى حيث تقودها. على أي شيء تستقر هذه النظرات الغامضة؟. آه. على الحبوب المنومة..؟

ـ ولكن ما معنى هذا يا مسز «مانسون»؟ هل أنت خائفة من الحبوب؟. إنك تتناولينها كل ليلة، فما الذي يخيفك منها. إنها هي نفس الحبوب التي اعتدت عليها. إننا لم نغيرها، ولم يكتب لك الدكتور «بابوك» دواء جديداً.

وأمسكت بالزجاجة وهزتها أمام عيني مسز «مانسون».

ـ انظري. إنها نفس الحبوب، ونفس الصيدلية. وفي الزجاجة أربع حبات، لأربع ليال أخرى.

وتغيرت النظرة المنبعثة من عيني مسز «مانسون». بدت قلقة منزعجة، بل بدت تفيض رعباً وفزعاً. كانت نظرتها أشبه بالكلام المنطوق.

كانت نظرتها تحذر، وتنبه، وتتوسل. كانت نظرة تصرخ.

فهمت. إذن فأنت خائفة من الدواء.؟ ولكن لم تخافين؟. ما سر هذا الخوف الفجائي الذي افترسك؟. حسنٌ. سوف أتأكد من الأمر.

وتناولت «ميلي» حقيبة يدها، ودست فيها زجاجة الحبوب. لقد أبعدتها عنك، وسأرميها في القمامة. وغداً سأخطر الدكتور «بابوك» أنك تكرهين هذه الحبوب، كما يكره الإنسان السم.

السم؟. لقد ترددت هذه الكلمة اليوم عندما كانوا مجتمعين في غرفتها قبل العشاء ويتناولون كأساً من الشراب كان «بروس» هو الذي نطق بها حين قال لـ«رالف»: «هل أنت ذواق السموم». إذن فهذه الكلمة هي التي أثارت انزعاج مسز «مانسون»، وجعلتها تفزع من الحبوب المنومة. لقد صور لها أن الحبوب قد استبدلت، وأن ما في الزجاجة حتى الآن حبوب مسمومة. نعم. هذا هو التفسير الوحيد.

وقالت «ميلي»: لا تخافي يا مسز «مانسون».. إن هذه الحبوب سليمة، فهل أنت بخير الآن؟..

ولكن لا.. إن مسز «مانسون» ليست بخير.. إنها ما زالت تنظر إلى المنضدة، ونظرة الخوف ما زالت تنبعث من عينيها.. كانت شفتاها جافتين متصلبتين وكانت تجاهد لكي تنطق.. لكي ترسم عليها كلمة ولكن عينيها كانتا ناطقتين.. كانت تريد أن تقول شيئاً.. شيئاً خطيراً.. شيئاً رهيباً.

وفجأة أحست «ميلي» أنها انهزمت..

إن مسز «مانسون» مصابة بالهستيرية.. نعم.. هستيريا ـ وهذا شيء لا تستطيع أن تواجهه وحدها.. يجب أن تستعين بمستر «مانسون».. أو مستر «كوري».. يجب أن تلجأ إليهما وتستنجد بهما..

وتطلعت إلى باب الغرفة.. ثم إلى الباب الزجاجي المفضي إلى الشرفة.

إن وراء هذا الباب الزجاجي، على قيد عشرات الأمتار، يرقد «جورج بيري» في فراشه يغط في النوم آمناً مستريحاً.

واتجهت إلى الحاجز (البارافان)، ودارت حوله، غافلة عن النظرات الفزعة التي تتابعها في رعب..

كان الطقس في الخارج في الشرفة شديد البرودة، وكان الهواء ندياً تخالطه آثار المطر. ومشت متجهة إلى غرفة مستر «مانسون» المتصلة بالشرفة، ولكنها ألفتها بدورها مطفأة الأنوار.

وقالت في نفسها.. لا شك أن مسز «مانسون» كانت بخير عندما ألقوا عليها تحية المساء وانصرفوا إلى مخادعهم، وإلا لما تركوها... إنه كان أحرى بهم أن ينتظروا عودتها أو يستدعوا الدكتور «بابوك». ولكن لم لا تستدعي الطبيب... إنه أقدر الناس على معرفة حقيقة ما تعانيه مسز «مانسون»، كما أنه بصوته المؤثر أقدر الناس على أن يبعث الإطمئنان في قلبها.

واستدارت راجعة، وهبطت إلى الطابق الأرضي، وهي تتحسس طريقها في الظلام، إذ لم تشأ أن تضيء الأنوار حتى لا تزعج أهل الدار وتوقظهم من نومهم.

وفي نهاية البهو أخذت تتحسس الجدار باحثة عن باب المطبخ حتى استقرت يدها فوقه. فتحت الباب ودخلت، ثم أضاءت النور

بعد أن أغلقت الباب.

اتجهتْ إلى جهاز التليفون، وكانت مديرة بيت الدكتور «بابوك» هي التي ردت عليها.

سألتها دون أن تذكر اسمها:

- هل الدكتور «بابوك» موجود من فضلك..؟

- كلا.. إنه غير موجود.

وغاص قلبها، فقد كانت في مسيس الحاجة إليه.

- أتعرفين أين هو الآن، فإن الأمر هام جداً.

- كلا بكل أسف.. إنني لا أعرف مكانه.. لقد تلقى دعوة بالحضور في الساعة العاشرة، ولم يعد حتى الآن، أتحبين أن تتركي له رسالة..؟

- كلا. كلا.. شكراً.. ألم يقل إن كان سيعود مبكراً..؟

- أعتقد أنه سيتأخر قليلاً، وأغلب ظني أنه دعي إلى حالة ولادة.

حسنٌ.. أرجوك أن تخبريه أن.. على أية حال شكراً لك.. سأتصل به مرة أخرى..

وردت السماعة مكانها.. لم تشأ أن تخطرها باسمها، فقد خشيت إذا رجع الدكتور «بابوك» من مهمته أن يتصل بها تليفونياً فيزعج رنين الجرس أهل البيت، ويخرجهم من سباتهم. وعندئذ سوف يلقي عليها باللوم مستر «مانسون» ومستر «كوري»، وسوف يلومانها على اتصالها بالطبيب دون استشارتهما.

كانت مسز «مانسون» ترقب باب الغرفة، منتظرة عودة مس «سيلز».. فقد افترضت أنها هبطت إلى المطبخ تأتي بقدح من الماء المثلج، ولكنها تأخرت أكثر مما ينبغي، فأين ذهبت..؟ لعلها رأت أن تعد لنفسها قدحاً من الكاكاو، ولذلك تأخرت في المطبخ.

إن من عادة مس «سيلز» أن تفعل هذا في بعض الليالي. . . وتمنت مسز «مانسون» لو أنها أعدت الكاكاو، فإنها في هذه الحالة لن تكون ظمآنه، ولن تكون في حاجة إلى احتساء قدح اللبن. . . إن من عادة مس «سيلز» في بعض الأحيان أن تشرب اللبن الذي يتبقى في الإبريق، وجميع أهل البيت يعرفون عنها هذه العادة ـ ولكن مسز «مانسون» تتمنى أن لا تقرب مس «سيلز» اللبن الليلة.

نعم. . . لكم أتمنى ألاَّ تمس شيئاً من اللبن.

حين رأت الأيدي ذات القفاز تبرز من تحت إطار الحاجز حاولت أن تصرخ. . . وقد صرخت فعلاً، ولكن في أعماق النوم. . . صرخت في طواياها حين كانت «إيما» غارقة في النوم أمام نيران المدفأة.

لقد مضت ترقب الأيدي وهي تزحف على الأرض، يميناً ويساراً. . . الأيدي الصفراء ذات القفاز،. . . نعم. . أخذت الأيدي تتحرك هنا وهناك، وترتفع وتنخفض ـ ثم ما لبثت أن اختفت. . وكاد الرعب يقتلني.

كانت الساعة الموضوعة فوق رف المدفأة ترسل دقاتها المتتابعة، ومضت الدقائق تلو الدقائق، ونظرها مستقر على الحاجز.

ثم فتح باب الغرفة في هدوء، وفي عذاب ومعاناة أدارت عينيها، وكان الأمل يعصف بها. . من القادم. . ! ونادت في أعماق قلبها: « «إيما». . ! أتوسل إليك أن تسمعي. . ! أتوسل إليك أن تستيقظي. . !» ولكن «إيما» ظلت غارقة في نومها.

وظلت والفزع يفرسها ترقب الخطوات التي تخطو فوق السجادة في رفق وحذر. . . كما كانت ترقب تناول حبتين (كبسولتين) من الزجاجة وإفراغ محتوياتها في إبريق اللبن، ثم ملء الكبسولتين ببودرة التلك الموضوعة على رف التواليت، وإعادة الحبتين إلى الزجاجة. . .

كانت ترقب كل هذا والشخص المجهول الذي تقوم يداه بالعمل يفعل كل هذا دون أن يلقي بالاً إلى وجودها - كأنها غير موجودة، أو كأنها قطعة من الجماد لا تحس ولا تشعر ولا ترى.

- كانت في رأيه أشبه بالأموات.. مجرد جثة، في حين كانت «إيما» مستغرقة في النوم، لا تستجيب إلى الصرخات المدوّية التي تتردد في أعماق مسز «مانسون».

رجعت «ميلي» إلى الغرفة، وفي يدها قدح الماء المثلج الذي جاءت به من المطبخ.

وقالت: إنك تعتقدين أنني تأخرت كثيراً... ترى هل ظننت أني فررت هاربة ، لأقضي السهرة مع أحد الأصدقاء..؟ كلا يا عزيزتي.. إنك رفضت أن تشربي اللبن فجئتك من المطبخ بقدح من الماء المثلج.

وأدنت «ميلي» القدح من شفتي مسز «مانسون» وهي تقول:

- هيا اشربي يا حبيبتي.. ماء مثلج لذيذ.. وقد جئت به من الثلاجة تواً.. والآن سنحاول أنا وأنت أن ننام.. ويجب أن ننام.. وسأترك المصباح الصغير مضاءاً. والليلة لن أنام في فراشي، وإنما سأجلس في المقعد وأنام، حتى يمكن أن أراك، وحتى يمكن أن تريني.. أوه.. أرجوك -... لا تنظري إلي هكذا.. سبق أن نمت في المقعد مرات عديدة، وإن كنت لم تشعري بذلك.

وسحبت المقعد الكبير ووضعته في مواجهة الفراش، ومسز «مانسون» تنظر إليها. وكأن المقعد أقرب إلى موضع القدمين منه إلى موضع الرأس.

واستقرت «ميلي» في المقعد الكبير، على أنها لم تلبث أن نهضت، وصبت لنفسها كوباً من اللبن، وأفرغته في جوفها.

رأتها مسز «مانسون» وهي تحتسي كوب الماء، وتجلى الخوف في

نظراتها.. إن «ميلي» لا تعرف المكيدة، أما مسز «مانسون» فتعرف.. إنها لا تعرف أن اليد الخفية المجهولة امتدت من وراء الحاجز، وأفرغت في اللبن محتويات كبسولتين من الحبوب المنومة، أما أنا فأعرف ما حدث. مسكينة «ميلي»... إنها سوف تستغرق في نوم عميق من أثر المنوم، ولن تدري بشيء مما يدور حولها ـ بل أنا المسكينة حقاً لا «ميلي»..

«ميلي» ستنام الليلة نوماً عميقاً، ولكنها على أية حال سوف تصحو في الصباح، أما أنا ـ مسز «مانسون» ـ سأكون في الصباح جثة هامدة.

نعم.. سأكون جثة هامدة.

ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا..؟ لا أظن أن الخطة وضعت على أساس قتلي الليلة، فهم لا يعرفون أن «ميلي» سوف تشرب الليلة اللبن الممزوج بالمنوم، وهم لا يمكن أن يقتلوني إلا في غياب «إيما» أو مس «سيلز»... إنهم يترقبون فرصة سانحة لكي ينفردوا بي، حتى يتسنى أن يقتلوني.

والليلة سنحت الفرصة... فما دام أن «ميلي» شربت اللبن، فستنام نوماً لا تحس معه بما سيفعلون بي. ومع ذلك فإنهم لا يعرفون أنها شربت اللبن.

إذن فهم لن يقتلوني الليلة.. كل ما يهدفون إليه هو إخافتي وبث الرعب في قلبي.. الأيدي التي تبرز من تحت إطار الحاجز.. اليد التي أفرغت المنوم في إناء اللبن ـ كل هذا يراد منه إثارة الفزع في نفسي. أما قتلي فلم يحن أوانه بعد.

ولكن كيف ينوون قتلي... ما الطريقة التي سيتبعونها في القضاء علي؟

أعتقد أن الخنق هو أسهل الوسائل... يد تمتد وتلتف حول

عنقي، وتظل تضغط وتضغط حتى تزهق أنفاسي.

ولكنّهم لا يستطيعون أن ينفذوا مكيدتهم إلاّ في غيبة مس «سيلز».. ولكنها الآن موجودة في الغرفة.

موجودة..؟ إني لأخدع نفسي إن ظننت أنها موجودة.. لقد تناولت اللبن ممزوجاً بالمنوم، وعندما تنام تصبح كأن لا وجود لها في الغرفة.

وعندئذ ينفردون بي و.. ويخنقونني.

وسيزعمون عند الشرطة أنني تقلبت في الفراش، فوقعت الوسادة فوق وجهي وكتمت أنفاسي.

كانوا جميعاً يترقبون أن أتحرك... كانوا يترقبون حدوث المعجزة... وقد حدثت المعجزة التي يتلهفون إليها... ولكنهم لم يكونوا يتوقعون أن تكون هذه المعجزة هي السبيل إلى الموت... لا إلى الشفاء.

ولكن هل سيصدّق البوليس هذا الادعاء..؟

ومس «سيلز» المستغرقة في النوم - هل سيتهمها البوليس بالإهمال..؟ أو ترى هل ستتهم بالتواطؤ والاشتراك في الجريمة..؟ هل سيقولون إنّ الدافع إلى اشتراكها في الجريمة هو أنها غارقة في الحب مع...

القسم الثاني

كانت «هاتي» هي التي صرخت.

وكانت صرخة مدوّية جلجلت في أرجاء البيت الهادىء... دارت الصرخة بكل ركن من أركان البيت، ونفذت إلى كل أذن، وانتزعت «إيما» من نومها العميق.

كانت غرفة «إيما» ملاصقة لغرفة «هاتي»، لا يفصل بينهما إلا الحمام المشترك.

وعرفت «إيما» من آين صدرت الصرخة، ولكن السكون الذي ساد البيت بعد الصرخة كان مخيفاً يهز الأعصاب. قالت في نفسها إن جميع أهل البيت لا بد أن يكونوا أمواتاً، وإلا فما معنى هذا السكون الشامل..؟ ليس في الدار نفس واحد يتردد، وليست فيها حركة واحدة تمس الأسماع. وجلست «إيما» في الفراش، وأضاءت النور، وأرهفت السمع ولكنها لم تسمع صرخة أخرى.

وحين تطلعت إلى الساعة وجدتها الثالثة بعد منتصف الليل. وألقت بيدها على فمها تكتم الصرخة التي أوشكت أن تنطلق.. كانت تريد أن تصرخ، وإن لم تعرف سبباً يدعوها إلى الصراخ.

وعندئذ سمعت أصواتاً أخرى... أبواب تفتح. وأبواب تغلق، ووقع أقدام تدق الأرض، وأقدام تهرول في كل مكان.. على الدرج، وفي المطبخ، وفي البهو.

ثم سمعت صوت مستر «كوري» يدق باب غرفتها ويناديها:

- «إيما»... إننا نريدك هنا، فأرجوك أن تسرعي.
وفتحت له الباب وقد التفت بردائها المنزلي، وسألته في لهفة:
- ما الذي جرى..؟ مسز «مانسون»..
فأجاب في اقتضاب:
أرجوك أن تحضري إلى المكتبة.
ومشت في أعقابه صامتة... كان قلبها يرتجف، وكانت خواطرها تشرد إلى الأسوأ. ولكنها لم تشأ أن تسأله مرة أخرى عما جرى... إن هي إلاّ دقائق معدودات حتى تعرف كل شيء.
وحين وصلت غرفة المكتبة وجدت «هاتي» هناك - حية تتنفس، وكانت جالسة على أحد المقاعد وقد التفت ببطانيتها.. ولكن أين الآخرون.. مستر «كوري».. ومستر «مانسون» ومس «سيلز»..!
آه.. ها هو مستر «كوري» الآن واقف بجوار المدفأة، وها هو مستر «مانسون» يتكلم في التليفون، أما مس «سيلز» فهي الوحيدة التي تخلفت عن الحضور.
وأحست «إيما» بغصة تخنق صوتها، وقالت متلعثمة مترددة!
- أين مسز «سيلز»..؟ أين مسز «سيلز».؟ هل هي بخير..؟
- إنّها بخير.. الجميع بخير عدا مسز «مانسون».
- يا إلهي..! إنّها لم.. لم...
ولم يطاوعها لسانها على أن تقول: «إنّها لم تمت»..
وقال مستر «كوري»:
- إنّنا نحاول الآن أن نتصل بالدكتور «بابوك»...
- يا إلهي..! إنّها لم.. لم..
ولم يطاوعها لسانها على أن تتصل بالدكتور «بابوك» لقد أغمي على مسز «مانسون»، وقد رفضت مس «سيلز» أن تتحمل المسئولية، وأصرت على استدعاء الطبيب، ولا نعرف كيف نتصرّف.

ثم استطرد: إن «هاتي» تهذي وتخرف، فهل تستطيعين يا «إيما» أن تتحدثي إليها..؟ إنّها تردد كلاماً لا يصدقه العقل.

وتحولت إلى «هاتي»... وكانت «هاتي» تولول بصوتها الحاد المسرسع. وكلماتها تتداخل بعضها في بعض بحيث تفلت الاذن المعنى في بعض الأحيان.

أخذت الكلمات تتدفق من فم «هاتي» متسارعة متلاحقة..: قالت إنّها كانت تعاني أرقاً شديداً طول الليل، وزاد الأرق وطأة أغصان شجرة اللبلاب التي كانت تضرب نافذتها بطرقات متتابعة بسبب شدة الهواء. وكلّما حاولت النوم أيقظتها خشخشة اللبلاب. وغادرت «هاتي» فراشها، وتناولت مقصّها من فوق المنضدة، وقد استقرّ رأيها على أن تقصّ الأغصان الملاصقة لنافذتها.

واستطردت «هاتي» تقول:

ـ وفتحت النافذة والمقص في يدي، وأبرزت منها رأسي لكي أقصّ الأغصان، وعندئذ رأيته... رأيته يهتزّ يميناً وشمالاً.. هذا الشيء الطويل الأسود المخيف.. كانت الأغصان هناك أمامي في الظلام، كأنّها ثعبان يزحف ويتحرّك.

وصمتت إذ كان «مانسون» قد فرغ من حديثه التليفوني، وجاء يقول لهم إنّه لم يعثر على الدكتور «بابوك»، ولكنّه استطاع أن يتّصل بالدكتور «بليديل»، وأنّه سيحضر حالاً.

وعادت «هاتي» تتمّ حديثها:

ـ نعم... كانت الأغصان أمامي والمقص في يدي، وأنا أهمّ بقطعها. وعندئذ نزلت الذراع..

وتطلّع «كوري» إلى «مانسون»، وتطلّع «مانسون» إلى «كوري».. تبادلا التطورات في دهشة، وكانا شاحبين، وكأنّهما كانا يبتسمان.

وقال «كوري» يخاطب «مانسون»:

ـ لا داعي لأن نستمع مرة أخرى إلى هذا الهراء.. أولى بك أن تنتظر الدكتور «بليديل» عند الباب فإنّه لن يتغيّب طويلاً.

وانصرف «مانسون» مسرعاً. وقالت «إيما»:

ـ أمّا أنا فلا أريد أن أسمع شيئاً... يجب أن أذهب إلى مسز «مانسون» لأراها.

فقال «كوري»:

ـ كلا.. بل يجب أن تبقى هنا.. يجب أن ننهي هذا الموضوع أولاً. إنّ نافذة مخدعك على مسافة بضعة أقدام من نافذة «هاتي»، ولعلّه قد يكون في وسعك أن تقنعيها بأنّ ما رأته كان مجرّد وهم وخيال.

وهتفت «هاتي»:

ـ لن يستطيع أحد أن يقنعني.. لا اليوم، ولا غداً، ولا في أيّ يوم آخر.. أكرّر عليكم القول بأنّني رأيت ذراعاً.. ذراعاً طويلةً.. طولها متران تقريباً. وكان يمكن لهذه الذراع أن تطبق على عنقي وتختفي، لولا أنّني صرخت فأفزعتها فهربت.

فقال «كوري» في صوتٍ رقيقٍ كمن يتحدّث إلى شخصٍ مختلّ العقل.

ـ وأين ذهبت هذه الذراع عندما هربت..؟

ـ لا تسألني..! إنّني لا أدري.. لقد اختفت.. أعتقد أنّها صعدت إلى أعلى.

ـ إلى أعلى..؟ ولكن أين..؟

ـ وأنّى لي أن أعلم..؟

واستطردت «هاتي»:

ـ إذا كانت الذراع قد ذهبت إلى أسفل، فلا بد أنّها ذهبت

لتلحق بجسدها، وفي هذه الحالة كان لا بد أن أرى الجسد، ولكنني لم ألمح شيئاً أمامي.. لم يكن هناك أي جسد.. لم يكن أمامي إلاّ أغصان اللبلاب وهذه الذراع الطويلة.. متران.. نعم.. طولها متران.. وكانت اليد مكسوة بقفاز أصفر.

ـ قفاز أصفر..؟ ولكن كيف استطعت يا «هاتي» أن تميّزي اللون، مع أن الظلام سائد؟

فقالت «هاتي» في إصرار:

نعم.. كان القفاز أصفر اللون يا مستر «كوري»، ولم يكن الظلام سائداً... كان هناك قبس من الضوء، صادراً من مصباح الشارع... ولقد رأيت القفاز كما أراك الآن... وكانت اليد تتأرجح يميناً ويسراً، كأنّما تبحث عن شيءٍ تمسك به.. لمست اليد وجهي.

وتحسّست «هاتي» وجنتها وقد خجلت عيناها لهول الذكرى المرعبة..

ـ نعم.. لمست اليد وجهي.. ولكنّها كانت لمسة خفيفة، غير أنّني شعرت بها.. ويبدو أن الذراع لم تكن تعلم أنّني موجودة.

وتحوّل «كوري» إلى «إيما» قائلاً:

ـ ألا يبدو لك الأمر أشبه بالألاعيب التي يمارسها الصغار في عيد «جميع القديسين»..؟

فقالت «إيما» منكرة هذا التفسير.

ـ وهل يمارس أحد ألاعيب العيد في الثالثة بعد منتصف الليل..؟ لا بد أنّها أكلت شيئاً ثقل على معدتها فرأت كابوساً مزعجاً.. هيا يا «هاتي».. عودي إلى فراشك، ودعك من هذه السخافات، وسوف أتحدث إليك في الأمر فيما بعد، أما الآن فإنّي صاعدة لأرى ما حلّ بمس «نورا».

ونهضت «هاتي» واقفة، ومضت إلى مخدعها.

واستدارت «إيما» إلى مستر «كوري» وسألته:

ـ ولكن من الذي صرخ؟ أكانت هذه صرخة «إيما»..؟

ـ لا بد أن تكون هذه هي صرخة «إيما».

وتساءلت:

ـ ترى هل سمعت مسز «مانسون» هذه الصرخة..؟

لقد جرت العادة بأن يكون بابها مغلقاً أثناء الليل.

فقال «كوري»:

ـ كان باب الشرفة مفتوحاً، ونافذة «هاتي» واقعة في الجانب الذي فيه الشرفة، فأغلب الظن أنّها سمعت الصرخة، فأغمي عليها.

فقالت إيما» وهي غارقة في التفكير:

ـ هذا غريب، فعهدي بمسز «مانسون» أنّها قوية الأعصاب، لا تهزّها المفاجآت، فكيف يغمى عليها بسبب صرخة سمعتها... إنّها ليست من الطراز الذي يغمى عليه.

فقال «كوري»:

ـ لا تنسي إنها الآن مريضة، فلم تعد لأعصابها صلابتها المعهودة.

ـ لعلّك على حق في هذا.

ثم أردفت:

ـ وثمة شيء آخر.. فقد كانت الليلة قلقة شديدة الانزعاج.. وقد علّلت مس «سيلز» الأمر بأنّها لا بد أن تكون قد رأت كابوساً.

وحدّثته عن عودة مس «سيلز» عند منتصف الليل والأسئلة التي وجّهتها:

ـ لقد انهالت عليّ بالأسئلة كأنني ارتكبت خطأ... فقد سألتني عمّن دخل عليها، وماذا قالوا لها.... إنّ مس «سيلز» تعتقد أنّ مسز «نورا» خائفة فزعة.

ومشى «كوري» إلى النافذة وأطلّ منها، ثم قال:
ـ إنّ الضوء، لا يزال يشعّ من غرفة «بيري».
ثم أردف:
ـ ولكن إلى أي مدى كان رعبها.. إنّ المرأة عندما تجد نفسها عاجزة عن الكلام وعاجزة عن الحركة تزداد رعباً... ولكن كيف عرفت مس «سيلز» أنّها خائفة..؟
ـ من الطريقة التي تنظر بها... إنّ العينين تنطقان دائماً بما يعتمل في الصدر من أحاسيس... ومن المحتمل فعلاً أن تكون قد رأت كابوساً في نومها، وعندما أفاقت عجزت عن أن تنفض آثاره عن نفسها. وقد صرفتني مس «سيلز» إلى مخدعي، قائلة إنّها تستطيع إذا انفردت بها أن تعالج الأمر، وأن تبدّد خوفها.
ـ أكان ذلك في منتصف الليل..؟
ـ نعم.. حوالى الثانية عشرة أو بعدها بقليل ولكن، ما الذي قالته مس «سيلز»..؟
فأجاب مستر «كوري»:
ـ يبدو أنّ ما تعرفه مس «سيلز» عمّا حدث أقلّ مما يعرفه أيّ إنسان آخر في هذا البيت... إنّها لم تعرف أنّ شيئاً قد وقع إلاّ بعد أن أيقظتها... ولم يكن من الهين أن أوقظها، فقد كان نومها ثقيلاً جداً.
وسألته «إيما»:
وأنت يا مستر «بروس».. هل سمعت صرخة «هاتي»..؟
ـ طبعاً، فقد كان باب غرفتي مفتوحاً، وصعدت في الحال إلى مخدع مسز «مانسون».
ـ كان مفروضاً أن تذهب قبل كل شيء إلى المكان الذي صدرت منه الصرخة.

ـ لـو أنّـك كنت مكـاني لفعلت مثلما فعلت... إنّ مسـز «مانسون» هي التي تشغل أذهاننا، فأوّل شيء يخطر بالبال هو أن تبادر إلى الاطمئنان عليها.

وأرهفت «إيما» سمعها وقالت:

ـ لقد فتح أحدهم الباب الخارجي دون أن يدقّ الجرس.. أيكون هذا هو الطبيب..؟

وفتحت باب المكتبة، وتناهت إليها أصوات صادرة من البهو، وقالت!

ـ تصوّر من يكون القادم..؟ «جورج بيري»، ومعه الطبيب.. إنّي صاعدة إلى غرفة مسز «مانسون»، فقد يحتاجون شيئاً.

كان «جورج» مرتدياً معطف المطر فوق بيجامته، وحذاؤه في قدمه بغير جورب، وقال يخاطب مستر «كوري»!

ـ كنت أطلّ من نافذتي فرأيت الأنوار تضاء في البيت فجئت مسرعاً أستفسر عما حدث.. فإذا كنتم تنوون تفتيش البيت والحديقة فإنّي على استعداد للمشاركة.

فسأله «كوري» في رقة:

ـ أتعلم عن أي شيءٍ تتحدّث..؟

ـ طبعاً أعلم.. إنّني أعرف كل شيء.. وإذا اعتقدت أنّ في وسعك أن تخفي الأمر فـأنت مخطىء في هـذا. لقد قـابلت دكتور «بليدل» عند عتبة البيت، وروى لي كل شيء، ولكنّني لم أكن في حاجة إلى هذا، لقد رأيت كل شيء بنفسي، ولا يدهشني أن يغمى على مسز «مانسون».

ومضت برهة «وكوري» يتأمّل «جورج» بنـظرة فاحصـة، ثم سأله:

ـ هل لك أن تحدّثني عمّا رأيته بالضبط..؟

وتضرج وجه «جورج» احمراراً وأجاب:

ـ لا أدري. . . إنّني لست من طراز الجيران الذين يتطلّعون من النوافذ متجسسين على جيرانهم، ولكن الذي حدث هو أنّ. .

ومضى يروي «لكوري» كيف أنّه أطلّ من النافذة ليبصق دواء الغرغرة الذي كان يتغرغر به بسبب وجع أسنانه.

وقال:

ـ وطبعاً تطلّعت إلى هذا البيت عبر الحديقة، ورأيت شيئاً يتحرّك. . كان يتأرجح يميناً ويساراً تحت الشرفة، وظننت في البداية أنّه كلب. . ولكنه ضخم الجثة. . غير أنّي ما لبثت أن ذكرت أنّه ليس في هذه الناحية كلاب من النوع الضخم، فبقيت في مكاني أحدّق النظر لأتبينّ حقيقة هذا الشيء.

وقال إنّ الكلب أخذ يزحف مقترباً من البيت، ثم ما لبث أن اختفى فجأة. واستدرت إلى غرفتي لأتناول سيجارة، أشعلتها ثم رجعت إلى النافذة، فرأيت الكلب راقداً على الأريكة الموجودة في الشرفة، فلا عجب أن يغمى على مسز «مانسون» فقد كان الكلب ضخماً مخيف المنظر، ولا بد أنّها فزعت عندما رأته يتجوّل في الشرفة، وما يدرينا أنّه تسلّل إلى مخدعها فأفزعها.

ـ ولكن أتستطيع أن تشرح كيف استطاع الكلب أن يتسلّق من الحديقة إلى الشقة. .؟

ـ الواقع أني لم أره وهو يتسلّق صاعداً، ولكنّي رأيته وهو يهبط. . لقد هبط في يسرٍ وسهولةٍ كأنّه قرد. . ولعلّه قرد وليس كلباً. . لقد قفز فوق «سياج الشرفة وتخطّاه»، وتعلّق بشجرة اللبلاب، وأخذ يزحف نازلاً. . والواقع أنّني لم أره وهو يستقرّ على الأرض فقد استدرت إلى غرفتي لأنتعل حذائي.

واستطرد «جورج» يقول:

ـ الحق أنّي لا أدري إن كان كلباً أو قرداً... إنّني لست موقناً من الأمر.

ثم تساءل:

ـ وكيف حال مس «سيلز»..؟

ـ إنّها بخير.. لم يصبها شيء.

يسرّني أن أعرف هذا.. ولكن لم استدعيتم «بليدل» بدلاً من «بابوك»..؟

ـ لأنّ «بابوك» متغيّب عن بيته في زيارة أحد المرضى.

ـ لقد أخبرني «بليدل» أنّ «هاتي» صرخت صرخةً مدوّية توقظ الأموات.

فتأمّله «كوري» برهةً ثم قال:

ـ اسمع يا «جورج».. أرجوك أن تكتم كلّ ما سمعت أو رأيت.. إنّنا لا نريد أن تكون سيرتنا مضغة في الأفواه.

ـ طبعاً.. طبعاً.. سأكتم كل شيء... ولقد أخبرني الدكتور «بليدل» أيضاً أنّ «هاتي» رأت على الجدار ذراعاً طولها متران.

ـ إنّ «هاتي» امرأة مخرفة تسيطر عليها الأوهام.

ولم يأبه «جورج» بكلمات «كوري»، وإنّما استطرد يقول:

ـ أتريد منّي أن أبقى لأعاونكم في التفتيش..؟ إنّنا قد نعثر على آثار مخالب. كما أنّ من المحتمل أن يكون هذا الشيء لصاً من متسلّقي المواسير، وقد نجد آثار أقدامه مطبوعة على أرضية الحديقة.... نعم.. لعلّه رجل لا كلب، وكان ينوي سرقة جواهر مسز «مانسون».

ولبث «كوري» صامتاً لا يعقب، فاستطرد «جورج» قائلاً:

ـ ألا ترى أنّه يحسن بنا أن نفتّش الحديقة حتى ترتاح ضمائرنا.؟

فعقب «كوري» بقوله:
ـ لا داعي لأن نفتّش أيّ شيء، فإنّ ضميري مرتاح تماماً.
فقال «جورج»:
ـ أمّا أنا فضميري غير مرتاح. إنّ أغصان اللبلاب عند نافذة «هاتي» متدلّية إلى أسفل، ولم تكن هذه حالتها اليوم.
فقال «كوري»:
ـ إنّ الدنيا ظلام، ومن العسير أن تتبيّن هذا الاختلاف.
فأطلق «جورج» ضحكةً مرحةً وقال:
ـ ما دامت البطاريّة معي، فلن يكون من الصعب أن أرى أغصان اللبلاب. وتناول من جيبه بطارية جيبٍ صغيرةٍ ولوّح بها.
ولاذ «جورج» بالصمت، ولم يعد يقول شيئاً.
وبعد بضع دقائق رنّ جرس الباب، فبادر «كوري» إلى استقبال الطارق ثم رجع بعد لحظات يقول إنّه الدكتور «بابوك».
كانت «سيلز وإيما» واقفتين بجانب الفراش، وأقبل الدكتور «بابوك» على مريضته يقيس نبضها، وكانت مسز «مانسون» في ذلك الوقت مستغرقةً في النوم.
وقصّوا عليه ما حدث، فغمغم يقول في وحشيّةٍ!
ـ هذا عجيب.! ومخيف أيضاً:
ومضت «ميلي» تقول:
ـ إنّني لم أسمع شيئاً على الاطلاق، ولم أر شيئاً. ولو أنّني سمعت صرخة «هاتي» لما خامرتني ذرّة من الخوف أما مسز «مانسون» المسكينة.
وتطلّعت «ميلي» إلى عيني مسز «مانسون». لقد استطاع الدكتور «بليدل» في براعةٍ أن يجعلها تفيق من الاغماء، ثم جعل يتحدّث في بساطةٍ عن الكابوس الذي شاهدته «هاتي» وكانت مسز «مانسون» تنظر

إليه طوال الوقت، ولا ترفع عنه بصرها لحظة، وتنصت إلى ما يقول. ثم أعطاها منوّماً أخرجه من حقيبته الطبية، وليس من الزجاجة الموضوعة على المنضدة. ولقد همّ في البداية أن يتناول زجاجة المنوّم، ولكنّ نظرة الخوف التي تجلّت في عينيها جعلت يده تتوقّف وترتدّ إلى حقيبته ليخرج منها الدواء، كما لوّح بالزجاجة أمامها، ومع ذلك ظلّت مسز «مانسون» على رفضها، وتطلّعت إلى «إيما» كأنّما تتحدّث إليها.

وقالت «إيما»:

إنّني سأنام هنا. كوني مطمئنّة. نعم. لن أغادر الغرفة، وبعد هذه الكلمات أصبح كلّ شيءٍ على ما يرام وأخلدت مسز «مانسون» إلى النوم، واستقرّت «إيما» على حافة الفراش، وأخذت تتثاءب. وبدا كلّ شيءٍ كأنّما يهيب بهم أن هيّا انصرفوا واتركوا الغرفة.

ولمس الدكتور «بابوك» ذراع «ميلي»، وقال لها:

- هيا يا مس «سيلز». لم يعد لك هنا ما تفعلين. إنّك في حاجةٍ إلى كأسٍ تنعشك كما قال مستر «مانسون» وأنا أيضاً في حاجةٍ إلى مثل هذه الكأس.

ثم أطلق ضحكةً خافتةً وقال:

- والواقع أنّك تستحقّين هذه الكأس. لقد كانت ليلة طويلة مضنية.

وتأبّط ذراعها، ومشى بها إلى خارج الغرفة، وأخذ يعبر بها البهو وهو يسحبها سحباً، كأنّها مريضة لا تقوى على السير.

وسرى عنها وبدّد وجومها، فقد كانت تخشى أن يلومها على نومها أثناء نوبتها ورعايتها للمريضة، فليس من حق الممرّضة أن تنام. ولكنّه كان منصفاً متسامحاً.

كانت جميع غرف البهو مفتوحة على مصراعيها - عدا غرفتين اثنتين، وكانت جميع الغرف مضاءة.

فإلى اليمين غرفة مستر «مانسون» الوردية، إذ أنّ كل ما فيها وردي اللون: الأثاث، والأغطية والجدران وكل شيء ويبدو أنّه هبّ من نومه فزعاً عند سماعه صرخة «هاتي»، فقد كانت الأغطية كلّها ملقاة على الأرض.

وإلى اليسار غرفة «روبي»، وكانت موصدة الباب. نعم. لقد أغلقت بالمفتاح منذ وفاته، وما من شك في أنّها الآن متربة يغطيها الغبار ويسود كلّ موضع فيها.

وبعدها الغرفة التي يشغلها مستر «بروس كوري»، وهي غرفة رمادية الجدران، وأثاثها كلّه ذو ألوان داكنة.

ويلي غرفة مستر «كوري» الجناح الذي يخصّ مستر «مانسون»، ولا يستعمله إلّا نادراً. ومع ذلك كان واضحاً أنّ شخصاً ما استخدم هذا الجناح، فقد كانت الأنوار مضاءة في الحمام وفي غرفة الثياب. وكانت جميع الأدراج مفتوحة، كأنّما كان هنا شخص يفتّش عن شيءٍ ما. وكانت المناديل ملقاة على الأرض، وأطراف كوفيّة تتدلّى من أحد الأدراج المفتوحة. ترى ما هذا الشيء الذي كانوا يبحثون عنه على عجل.؟ أيكون مسدّساً مخبّأ في درج المناديل؟ ومن يكون ذلك الذي كان يبحث عن هذا الشيء المجهول.؟

أما الباب الثاني المجاور لجناح مستر «مانسون»، فهو باب الدور المسحور، وكان أيضاً موصداً.

وفي رفق ضغط الدكتور «بابوك» على ذراع «ميلي»، فقالت:

ـ لا بدّ أنّ ذراعي ترتعش. إنّ ركبتي ترتعدان، ويخيّل إلي أنّني لا أقوى على السير، كما أنّي أحسّ صداعاً شديداً.

وابتسمت في وجه الدكتور «بابوك»، كأنّما تبدي له امتنانها.

ثم أخذت تهبط إلى الطابق السفلي، وهو ما زال متأبّطاً ذراعها في حنان.

وكان يقول لها وهما يهبطان الدرج.

- هوِّني عليك يا فتاتي، ولا يقلقك أمر مريضتك إنّها في حالٍ طيّبة، وسوف تصحو وهي على ما يرام. لقد كانت في حاجة إلى شيءٍ من الراحة. وعليك غداً أن تخرجي إلى نزهتك اليومية المألوفة. إنّنا لا نريد لك أن تنهاري، فإنّنا في مسيس الحاجة إليك.

كانوا لا يزالون في غرفة المكتبة، وقد انضمّ إليهم والد «جورج» وأمّه، لقد رأيتهما من قبل على بعد، ولكنّهما لم يلتقيا أبداً. كان مستر «بيري» مرتدياً بيجامته، وكان جالساً أمام المدفأة يصطلي الدفء. أما زوجته «أليس بيري» فكانت مرتدية ثيابها كاملة، وحتى عقد اللؤلؤ كان يزيّن جيدها.

- ولم يحفل أحد عند دخولها بأن يقوم بواجب التعارف، وحتى «جورج بيري» نفسه لم يهتم بأن يقدّمها إلى أبويه.

ومضت إلى مقعدٍ بجانب النافذة، واتخذت مجلسها بعيداً عن دائرة الضوء.

ودارت ببصرها في أرجاء الغرفة، غارقة في مقعدٍ ضخم.

وحمل إليها مستر «كوري» كأساً من الشراب، قدّمه إليها صامتاً لا يتكلّم.

كانت الساعة إذ ذاك الرابعة بعد منتصف الليل، وكان السكون سائداً، والأرض غارقة في الظلام.

كانت «أليس بيري» تضحك وهي تقول:

- إنّني عادة أنام نوماً عميقاً، ولكنّني الليلة كنت قلقة مصابة بالأرق لسببٍ لا أدريه. أو لعلّ هبّات الريح الشديدة هي التي كانت تزعجني. وقد سمعت وقع خطوات «جورج» وهو يجوس في أرجاء البيت، وعزوت ذلك إلى وجع أسنانه، وبعد ذلك سمعت خطوات زوجي وهو يتنقّل في أرجاء البيت، فرأيت أن أنهض لأتبينّ، ما يحدث.

وحين دخلت إلى مخدع «جورج» وجدت أنّه قد ترك لي مفكرة يخطرني فيها بأنّه موجود هنا، فذهبت إلى زوجي وأبلغته الأمر وجئنا معاً نستفسر عمّا حدث. وهذا أدنى واجب يقوم به الجار حيال جاره.

واسترسلت «أليس بيري» تقول: لو أنّ «هاتي» كانت في خدمتي لطردتها على الفور عقاباً لها على ما أثارته من قلقٍ وانزعاج.

وضحكوا جميعاً لهذه الملاحظة.

وقال مستر «كوري»:

ـ الريح هي المسئولة لقد قال «جورج» أن أغصان اللبلاب متدلّية إلى أسفل ولا شك أنّ هذا هو ما رأته «هاتي» فأفزعها.

وأيّدته «أليس» فيما قال:

ـ أصبت، فقد حطّمت الريح أزهارنا التي تعب زوجي في إنمائها ورعايتها. فأومأ مستر «بيري» برأسه إيجاباً وقال:

ـ نعم. كانت الريح عنيفة مخيفة، تهزّ أغصان الأشجار بلا رحمة، والأشجار كما تعلمون مخلوق حيّ يفرح ويتألّم، حتى لقد ظننت أنّ «هاتي» حزنت من أجل الأشجار فصرخت رثاء لها.

وأغرقوا جميعاً في الضحك مرة أخرى.

وقال الدكتور «بابوك»:

ـ لقد كانت الرياح شديدة أيضاً في البلدة.

وصرخ «جورج»: ما هذا الذي تردّدون؟ الرياح. الرياح. أليس لديكم من حديثٍ إلاّ عن الرياح.؟ كلّ شيءٍ تعزونه إلى الرياح.؟ أهكذا هو تعليلكم الوحيد لما حدث.؟ حاولوا بالله عليكم أن تبحثوا عن سببٍ آخر.

وسألتْ «ميلي» نفسها عن السبب الذي جعل «بيري» لا يهتم بأن يعرّفها بوالديه. ورددت في نفسها أنّه ليس هناك ما يدعوها

للسكوت أكثر من هذا، فنهضت واقفة، وأحنت رأسها تحيي الجميع قائلة:

ـ طاب مساؤكم. . إنّ مكاني بجانبها، وليس هنا.

وسمعت «بابوك» يقول وهو يغادر الغرفة إنّ تقرير المدلّك كان طيّباً مبشّراً بالأمل، فقد اتصل به من البلدة مستفسراً، إذ أنّه ينوي أن يجري العلاج بالتدليك كل يوم، لأنّه لاحظ أنّ مسز «مانسون» تستجيب إلى هذا العلاج.

وفيما كانت ترتقي الدرج إلى الطابق العلوي لحق بها «جورج».

لم يقل شيئاً، ولم يوجّه إليها كلمةً واحدةً، وإنّما ألقى بذراعيه حولها يطوّقها ويضمّها إلى صدره. وكانت هذه أول مرة يعانقها فيها.

وكانت «إيما» في هذه اللحظة خارجة من الحمام تحمل الإبريق والقدح والكوب. كانت كلّها نظيفة تبرق بعد أن غسلتها.

أمّا هي ـ مسز «مانسون» ـ فكانت تتابع «إيما» من خلال أهدابها الطويلة الموجعة، حتى ليحسبها المرء غارقةً في النوم. وانهمكت «إيما» في إزالة الغبار عن المنضدة، وكان هناك شرخ في القنديل الموضوع على المنضدة، فهل ستقطن «إيما» يا ترى إلى هذا الشرخ.؟ أو هل ستفطن إليه مسز «مانسون».؟

إنّهم لن يعرفوا أبداً ما حدث للقنديل، أما هي ـ «نورا» ـ فتعرف كلّ شيء.

إنّها تعرف أنّ يدين غليظتين صفراوين قلبتا القنديل على الأرض فانشرخ. وبعدها لم يكن الضوء كافياً. نعم. لم يكن كافياً لكي تتضح الرؤية. ولم يكن كافياً لارتكاب جريمة قتل، ولذلك تخلوا عنها ولم يقتلوها هذه الليلة. لم يكن هناك صوت مسّ سمعها إلاّ خبطة المصباح وهو يصطدم بالأرض، وإلاّ صوت تنفّس شخصين. نعم. هناك شخصان يتنفّسان في ظلمة الغرفة: مس «سيلز» وهي جالسة في

المقعد الوثير مستغرقة في النوم، وصوت تنفّس شخص آخر عند رأس السرير. وكان صوت مس «سيلز» هادئاً منتظماً رتيباً، أمّا تنفّس الآخر فكان سريعاً مبهوراً.

بهذا أخذت «نورا» تحدّث نفسها.

ومضت تترقّب أن تصحو مس «سيلز» من نومها، ولكنّها شربت اللبن الممزوج بمحتويات الحبتين المنوّمتين، فكيف تفيق بهذه السرعة.؟ نعم. ظلّت مس «سيلز» نائمة. لم تسمع خبطة القنديل على الأرض، ولكنّها سمعت شيئاً آخر. أو على الأقل أحسّت بشيءٍ ما، فقد تحرّكت في سباتها وتأوّهت. مسكينة مس «سيلز».! ولكن لا. إنّها ليست مسكينة.! إنّها غنيّة وافرة الثراء، فقد منحتها يوماً جديداً تعيشه وتحياه.

وهبطت الأيادي الأربع الصفراء إلى الأرض، تزحف هنا وهناك باحثة عن المصباح، فلو أنّ مس «سيلز» استيقظت، الآن لرأت شبحاً جاثياً يزحف على أربع، ولصرخت كما فعلت «هاتي»، وعندما تضيء النور فلن تجد شيئاً على الاطلاق.

وعندئذ سيقولون لها: إنّك مرهقة يا مس «سيلز».! إنّك منهارة الأعصاب.! إنّك في حاجةٍ إلى راحةٍ طويلةٍ. بضعة أسابيع.! وعند هذا تذهب مس «سيلز».! تختفي مس «سيلز» ولا يعود لها من وجود.!

والقنديل.؟ ترى ما مصيره.؟ هل سيأخذه أحدهم قبل أن يفطن بعضهم إلى الشرخ الذي أصابه.؟ ولكن ما الحجة التي سيتذرّع بها بعضهم لكي يأخذ القنديل؟

هذا على أيّة حال لا أهمية له. المهم أنّك موقنة من أنّهم سيأخذون القنديل. هيا دعي القنديل، وانسي ما كان من أمره. إنّ عليك أن تتذكري ما حدث بعد هذا. لا بد أنّ هناك شيئاً آخر

يجب أن تتذكّريه.

«وهاتي». ؟ متى صرخت. ؟ أكان ذلك بعد دقيقةٍ واحدةٍ أم بعد عدة دقائق. ؟ إنّ من الصعب أن يحسب المرء الوقت بدقةٍ خلال الظلمة السائدة.

وهذا الطبيب الجديد الذي استدعاه «رالف». إنّه شاب. إنّه أصغر كثيراً من «بابوك»، كما أنّه قليل الخبرة، ولكنّه على أيّة حال عطوف رقيق، وقوي الملاحظة. عندما همّ بأن يتناول من فوق المنضدة زجاجة الحبوب المنومة ـ فهم على الفور نظرتي وما ينطوي فيها من معان. فهم أنّني أنفر من هذه الحبوب، فتناول حبوباً أخرى من حقيبته. وكانت هذه الزجاجة جديدة، وقد لوّح بها أمام عيني وفتحها أمامي. إنّها زجاجة جديدة، فهي آمنة سليمة. ومع وجود «إيما» في الغرفة، وأيضاً مس «سيلز» فكلّ شيءٍ آمن سليم.

ولكن هذا يكفي، ولنعد الآن إلى «هاتي».

لقد قال الدكتور الشاب إنّ «هاتي» صرخت لأنّها رأت في منامها كابوساً، ولكنّ مس «سيلز» قالت شيئاً آخر مختلفاً. . قالت إنّ الخوف استولى على «هاتي» بسبب اللبلاب خارج نافذتها. إنّهم مؤمنون بما يقولون، لأنّهم صدّقوا ما قيل لهم. ولكنّ «هاتي» تعرف كلّ ورقةٍ من أوراق اللبلاب، وتعرف كلّ غصن. إنّ ما رأته «هاتي» وبعث الرعب في قلبها لم يكن اللبلاب، وإنّما شبح أسود اللون له أربع أياد. لو أنّ «هاتي» تكلّمت قبل الآخرين. لو أنّ «هاتي» تكلّمت في كلّ مكان، ومع كلّ إنسان لو أنّها فعلت لعرف الناس الحقيقة، ولعرفوا أنّ اللبلاب لا شأن له بما أخافها. ولكن أكان الضوء كافياً لكي ترى «هاتي» الأيدي الأربع. ؟ ألا ليت «هاتي» تتحدّث. ألا ليتها تقول إنها رأت الأيادي الأربع. !

ولكنّك رأيته وهو يصنع الأيدي. لقد قال لها أن الأمر سر. إنه

مجرّد نكتة. لقد أخبرك أنّه يصنعها ليقدّمها هدية.

هيا فكّري. فكري. هناك شخص آخر يعرف بالأمر. شخص جاء إلى الغرفة، ورأى كل شيء. من يكون هذا.؟ نعم. من هو.؟ ها أنت ذي قد بدأت الآن تخطئين. ها أنت ذي تدعين ذهنك يشرد بعيداً. إنّك ترين وجهه أمامك وتسمعين صوته. ألا تكفّين عن هذا التفكير.؟ فكّري في شيءٍ آخر حتى لا يضلّ عقلك في متاهات تفسد تفكيرك.. فمثلاً أطلقي على نفسك الأسماء اللطيفة التي تناديك بها مس «سيلز». إنّها تناديك بطفلتي الصغيرة. وحبيبتي. نعم أنت طفلة عزيزة. نعم دعي التفكير في الأيدي، ودعي التفكير فيمن صنعها، وفيمن دخل وهو يصنعها.

والآن هيّا عودي إلى أحداث الليلة الماضية. لعلّك نسيت شيئاً. لعلّك تجاوزت عن شيءٍ له أهمّيته. شيء يرشدك إلى ما خفي عنك.

القنديل الذي تدحرج وسقط على الأرض. الظلام. الانتظار والترقّب. الصرخة المدوّية. ثم لا شيء. لا شيء على الإطلاق.

وعلا صوت «إيما» تتساءل: «هل أنت مستيقظة.؟ حسنٌ جداً. لقد جاءت مس «سيلز» بفطورك. إنّك كنت نائمة في سكون وهدوء، لأنّك تعرفين أنّني بجانبك».

وأطعمتها «إيما»، مستخدمة الملعقة والشفاطة الزجاجية ولسانها في غضون ذلك لا يكفّ عن الثرثرة: إنّ التليفون اليوم لم ينقطع لحظة واحدة عن الرنين. فقد علم أهل البلدة بما أصابك من خوفٍ في الليلة الماضية فمضوا يستفسرون عنك. إنّ الساعة الآن لم تتجاوز العاشرة صباحاً ومع ذلك وفد للاستفسار عنك عدد كبير من الزائرين: دكتور «بابوك»، وآل «بيري»، وذلك الطبيب الشاب اللطيف، وإن كان لم يمكث إلّا قليلاً. وقد أحضرت لك مسز «بيري» برطماناً من الجيلي وزجاجة من عصير الفراولة. والآن كلي هذه

البيضة، وبعد ذلك أدعوهم إلى مقابلتك.

وجاءت مس «سيلز» وأصلحت من وضع المقعد، وجعلته مواجهاً للنافذة.

- إنّ الجو بارد اليوم فلا يسعني أن أجلسك في الشرفة وأشعة الشمس تنفذ من النافذة، ولك أن تنعسي إن شئت، فإنّك في حاجةٍ إلى مزيدٍ من النوم.

ثم أردفت: - اسمعي يا «إيما». إنّها تريد هذه السجادة. إنّها تحبّ دائماً أن توضع على ركبتيها لتدفئتها.

وأجلستها «إيما» على المقعد ذي العجلات، ودفعته إلى ناحية النافذة.

وسمعت الضيوف قادمين يسيرون في خطواتٍ خفيفةٍ.

وأحاط الزائرون بمقعدها باسمين يردّدون المجاملات اللطيفة وعبارات الاستفسار عن صحتها. إنّك كنت شجاعة دون شك. لقد واجهت الموقف في شجاعة. إنّ الجو لطيف اليوم يا مسز «مانسون». إنّك.

وضاق صدرها بهذه الثرثرة، وأطبقت عينيها كأنّما دبّ إليهما النعاس، وإن كانت في الواقع مستيقظة تستمع إلى كلّ كلمةٍ تتردّد حولها.

وسمعت مس «سيلز» تقول لشخصٍ ما عند النافذة:

- كلا. لا تأخذ السجادة. إنّها تريدها. إنّها ترتاح إلى وجودها فوق ركبتيها.

وسمعت صوتاً يتساءل: - أهي نائمة يا مس «سيلز»؟

- إنّها مسترخية فقط، وهذه علامة طيّبة. ولكن تكلّموا كيفما تشاءون. إنّها تحبّ أن تسمع أصواتاً حولها، أليس كذلك يا دكتور «بابوك»؟

ـ تماماً. تماماً. إنّ سماع الأصوات يسري عنها.

وقال «رالف»: ـ «إيما». أيمكننا أن نتذوّق عصير الفراولة الذي جاءت به مسز «بيري».

ـ ولم لا.؟ إنّ مسز «بيري» خير من يجيد صنع عصير الفراولة في هذه البلدة.

وقالت مسز «بيري» وعلى وجهها ابتسامة ارتياح تشغل كلّ وجهها!

ـ شكراً لك يا «إيما». ما أسعد مسز «مانسون» بأن تعملي لديها.

وجاءت «إيما» بزجاجة العصير من قاعة الطعام، وصبّت الأقداح، ودارت بالصينية على الحاضرين.

واستوت «إيما» على أحد المقاعد متهالكة وهي تقول:

ـ لقد أصبحت عجوزاً لا أقوى على العمل. إنّ يدين اثنتين لا تكفيان لإنجاز العمل المطلوب. إنّني في حاجةٍ إلى أربع أيادٍ.

ومست الكلمة مسامع مسز «مانسون»، فقالت: ألا انصتوا جميعاً وأرهفوا السمع إلى ما نطقت به «إيما». إنّها تقول: «أربع أياد». ألا تسمعون. انظروا إلى وجه «إيما». لا بد أنّها تقصد شيئاً معيّناً. تقصد شخصاً معيّناً له أربع أياد. وهذا هو ما رأته في جوف الليل. أربع أياد صفراء تزحف تحت إطار الحاجز.

واستطردت «إيما»: ـ ومع ذلك سأستمرّ في العمل، وإن كنت في حاجةٍ إلى زوجين من الأيدي.

سأكون في حاجةٍ إلى أن أنام قليلاً خلال ساعات النهار لأستردّ نشاطي.

وردّ عليها مستر «رالف» قائلاً: إنّ لك أن تنامي يا «إيما» في

آي وقتٍ تشائين. اعتبري نفسك ربّة البيت. إنّ لك أن تتصرّفي كما يحلو لك.

ـ شكراً لك يا سيدي. والواقع أنّي في حاجةٍ الآن إلى شيءٍ معيّن، ولكن كان يجب أن أستأذنك أولاً.

وجاءت اللحظة الحاسمة. جاءت اللحظة التي انكشف فيها الأمر.

قالت «إيما»:

ـ إنّني أريد أن أغيّر القنديل الموضوع بجانب الفراش.

ـ وما عيبه يا «إيما».؟

ـ إنّ مظلّته كبيرة ودائرة العتمة التي يرسلها أكبر مما ينبغي.

هيّا يا «إيما». هيّا انظري إلى القنديل. انظري فقد ترين أنّ قاعدته مشروخة، وقد تتساءلين عمن شرخ القنديل.

وجاء شخص لا تدري من يكون ووقف خلف مقعدها. ما الذي يريده منها.؟ أيريد أن يخنقها في وضح النهار، وأمام هذا الجمع.؟ هل اختلّ عقلك.؟ ألا تنتظر حتى يهبط الليل ويعمّ الظلام.؟

وفي لحظات كانت مس «سيلز» إلى جانبها:

ـ ما الذي جرى.! ما بالك ترتعدين يا حبيبتي.؟ إنّك دافئة فما الذي يجعلك ترتعشين؟

وقال «جورج»:

ـ لقد ذكّرني القنديل بشيءٍ حدث الليلة الماضية.

ـ أيمكن أن نتحدّث عن أحداث الليلة الماضية يا دكتور.؟

ـ ولم لا.؟ لقد طويت هذه الأحداث، ولم يعد لها من أثر.

وعاد «جورج» إلى حديثه قائلاً:

ـ قبل أن تصرخ «هاتي» في جوف الليل حدث أن قلب أحدهم القنديل.

ـ قلب أحدهم القنديل.؟ ماذا تعني؟

ـ كنت واقفاً في غرفتي أطلّ من النافذة، وفجأة غرقت هذه الغرفة في الظلام، واستمرّ ذلك نحو دقيقتين أو ثلاث، انبثق النور مرةأخرى. ثم انطفأ ثم عاد وأضاء هو القنديل المجاور للفراش، لأنّ مصباح السقف كان مطفأ من قبل.

وقالت مسز «سيلز»:

لا شك أنك تهذي، لأنّ مصباح الفراش كان مضاءاً عندما ذهبت لأنام، وكان مضاء أيضاً عندما صرخت «هاتي» وجاء مستر «كوري» إلى الغرفة راكضاً. أليس كذلك يا مستر «كوري».؟

فقال «بروس» في بساطة:

كلاكما على صواب. فعندما دخلت كان القنديل ملقى على الأرض، فرفعته ووضعته على المنضدة، فأضاء نوره الغرفة.

وقال «جورج» في شيءٍ من الاستغراب:

ـ أكان ملقى على الأرض.؟

وردّدت مس «سيلز» وراءه:

ـ على الأرض.؟ هذا عجيب.! ولكنّي لم أسمعه يسقط. لقد شعرت فقط بمستر «كوري» وهو يهزّني في عنفٍ ليوقظني.

وقالت «إيما» وهي تمسك بالقنديل:

ـ هذا القنديل لم يعد صالحاً للعمل. إنّ به شرخاً كبيراً. يجب أن نتبرّع به للجمعية الخيريّة فتعرضه للبيع في مزادها السنوي.

وهتفت مسز «بيزي»:

يا لها من فكرة رائعة أن تهدوا هذا القنديل إلى مزاد الجمعية الخيرية. لا تنس يا «جورج» أن تأخذ القنديل معك عند انصرافك.

فقد كانت مسز «بيري» هي رئيسة الجمعية.

وقال «جورج»:

سوف أفعل. ولكن كيف يمكن أن يقع قنديل ثقيل كهذا.؟ أمن المعقول أن تكون الريح أيضاً هي التي دفعته.

- الريح.؟ طبعاً لا. كما لا يمكن أيضاً أن تكون هي التي أوقعته، فإنّها عاجزة عن أن تمدّ إليه يدها.

وقالت «إيما»:

لقد كانت الريح شديدة بالأمس، فملأت الغرفة بالغبار وأوراق الشجر، فمن المحتمل أنّها هي التي أوقعت القنديل. والتفتت «أليس بيري» إلى ابنها تسأله:

- ماذا تقول يا «جورج».؟ هل تكلّم نفسك.؟

فابتسم «جورج» وأجاب:

- إنّني أغمغم ببيتٍ من الشعر عن الرياح حفظته في صباي، وقد ذكّرتني به هذه الريح التي تتحدّثون عنها الآن والتي قلبت قنديلاً يزن خمسة كيلوجرامات. «كلّ شيءٍ إلى الرياح يعزون، ما ظهر من عملهم وما يخفون، كلّه إلى الرياح ينسبون».

ثم أردف:

أظنّ أنّه قد حان الوقت لكي نعود إلى البيت.

وتحرّكت المقاعد على الفور، ووضعت الأقداح على المنضدة وعلى رفّ المدفأة، واختلطت الأصوات، وتشابكت الكلمات. مستر «بيري» لماذا لم تشرب الفراولة. لا تنس القنديل يا «جورج». شكراً على حضوركم. لقد أتعبناك يا «إيما».

وانصرفوا جميعاً. انصرفوا وخفتت الأصوات. وأخذت «إيما» تجمع الأقداح.

مسكينة «إيما». إنّها هي وحدها التي ستغسل هذه الأكداس من

الأواني، وليس هذا فقط، بل ستكنس الغرفة للمرة الثانيـة خلال ساعات.

والقنديل.؟ نعم. سقط على الأرض وانشرخ، وزعموا مخدوعين أنّ الريح هي التي أسقطته.

يا لهم من مخدوعين.! كانت تستمع إليهم وهي مطبقة العينين، وكانت تسخر من جهلهم. أمعقول أن تسقط الريح مثل هذا القنديل الثقيل.؟ كانوا جميعاً مخدوعين ـ فيما عدا «جورج». وكانت في صوته رنّة غريبة. رنّة حافلة بالشكوك. وبيت الشعر الذي رواه. إنّه من كتاب أشعار قدّمته إليه هدية، كما قدّمت نسخة أخرى إلى «روبي». نعم «جورج وروبي». كانا دائماً معاً. وكانا يذهبان إلى المدرسة سوياً.

. آه. إنّ «جورج» هو الذي يعرف موضوع الأيدي. «جورج» هو الذي رأى الأيدي عندما رأيتها أنا. كنت أحاول أن أتذكّر من الذي رآها معي. من الذي دخل وأنا أشاهدها. والآن تذكّرت. إنّه «جورج».

والآن لكي تكتمل الحلقات يجب أن تتكلّم «هاتي» لأنّها رأت اليد ذات الذراع الطويلة فوق الجدار بجانب اللبلاب. ويجب أن يسمع «جورج» ما تقوله «هاتي». نعم يجب. يجب. فقد تتكشّف الأمور.

وقالت «إيما»:

أرجوك يا مس «سيلز» أن تحملي هذه الأقداح معك عند انصرافك الآن، أمّا أنا فسأبقى مع مسز «نورا»، وسأعدّ لها غداءها عندما يدركها الجوع. إنّها الآن نائمة ولا أدري متى تستيقظ. ولا داعي لأن تتعجلي العودة يا مس «سيلز»، فإنّني لن أبتعد عنها لحظة واحدة حتى تعودي.. أوه.. ما أجمل هذا المعطف الأحمر.! إنّ اللون الأحمر يناسبك تماماً يا مس «سيلز».

إنّ مس «سيلز» خارجة لكي تتريّض قليلاً. ومن خلال النافذة أستطيع أن أتابعها ببصري، فإنّ المعطف الأحمر يظلّ واضحاً للعين مهما ابتعد المرء. سأتأمّل الأطفال وهم يلعبون في الحديقة العامة، وسأتأمّل المربيات وهنّ جالسات يتسامرن. وسأتأمّلك أنت أيضاً يا «ميلي» بمعطفك الأحمر الفاقع اللون.

آه. ها هي مس «سيلز» تسير في الحديقة مختالة بمعطفها الأحمر، ولكن من تكون هذه المرأة ذات المعطف الأخضر والقبّعة الخضراء.؟

اسكتي يا «إيما». كفى ثرثرة. كفى كلاماً. اسكتي ودعيني أفكّر. من تكون هذه المرأة ذات المعطف الأخضر.؟ إنّني أعرف ذات المعطف الأحمر. إنها مس «سيلز»، أما الأخرى فمن تكون.؟

ولكنّ «إيما» كانت تواصل ثرثرتها. إذن فقد استيقظت وأنت الآن منهمكة في التطلّع من النافذة. حسنٌ. تطلّعي كيف شئت، فهذه تسليتك الوحيدة. هل أنت سعيدة لأنّي وضعت السجادة على ساقيك. ولكن يا إلهي.؟ ما الذي جرى لهدب السجادة.؟ قد عقدته فمن الذي فك العقد.؟ لا يمكن أن تكوني أنت يا مس «نورا» التي حللت الشراريب. أوه.! ما بالك يا مس «نورا». إنّني أتحدّث إليك وأنت لا تصغين. إنّك شاردة الذهن. فيم تفكرين يا ترى.؟ وفيم تحدّقين يا ترى.؟

آه. إنّك تنظرين إلى ذات المعطف الأخضر. إنّك تعرفينها فكيف لا تذكرينها يا عزيزتي مس «نورا».؟

لقد مكثت في هذا البيت أياماً عديدة.

وتألّقت عينا مسز «مانسون» فجأة. فقد عرفت ذات المعطف الأخضر وذكرتها. نعم. إنّها مس «بيرد». إنّني أذكرها الآن. إنّها الممرضة التي كانت ترعاني قبل مس «سيلز» لقد اعتادت أن ترتدي دائماً المعطف الأخصر والقبعة الخضراء. إنّها هي بعينها. وها هي ذي

قد عادت، فلم رجعت.؟ بل لم طردوها وجاءوا بممرّضة أخرى بدلاً منها.؟

لا شك أنّهم طردوها لأنّها رأت شيئاً أو لاحظت شيئاً. طردوها لأنّها عرفت أسرارهم ومكائدهم.

هذا هو التعليل الوحيد، فقد كنت ألاحظ دائماً أنّها تهمّ بأن تقول لي شيئاً، ثم تعود فتلوذ بالصمت. كانت عيناها تنطقان بحديثٍ خفي، ولكنّ لسانها كان متردداً صامتاً.

اسمعي يا مس «بيرد». إنّني أعرف أنّك تعرفين شيئاً، فهيّا تكلّمي. هأنذا في نافذتي أراقبك وأتابع خطواتك، فهل جئت لكي تتكلّمي.؟ إذن تكلّمي ولا ترددي.. هل ترين هذه الفتاة ذات المعطف الأحمر.؟ إنّها ممرضتي الجديدة مس «سيلز». ممرضتي التي حلّت مكانك، فهيّا اذهبي إليها وحدّثيها. هيّا أفضي إليها بكل ما تكتمين.

أرجوك يا مس «بيرد». أتوسّل إليك. اذهبي إلى «ميلي سيلز» وحدثيها بكل شيء قولي لها ما تعرفين. اكشفي لها ما أثار ريبتك وشكوكك.

يا إلهي.! إنّها لا تستجيب لرجائي.

إذن فلا مهرب لي من الموت. لقد انتصف النهار، ولم يبقَ على ساعة مصرعي إلاّ ست ساعات. إنّهم الآن يدبّرون أمرهم مترقّبين هبوط الليل. إنّهم الآن يعدّون الوسيلة التي يقتلونني بها.

في تلك اللحظة كانت «أليس بيري» في بيتها ممسكةً بالقنديل المشروخ الذي أخذته من بيت مسز «مانسون» تبيعه في المزاد لصالح الجمعية الخيرية.

جعلت «أليس» تتأمّل القنديل. كان تحفة فنية رائعة عليه نقوش بارزة تمثّل «كيوبيد» إله الحب.

والتفتت «أليس» إلى زوجها قائلة:

ـ ما رأيك في أن أحتفظ لنفسي بهذا التمثال وأعرض في المزاد العلني شيئاً آخر.

فقال زوجها:

ـ إنّه في الحق آية في الجمال.

ـ لقد أهداه إليها مستر «كوري» في عيد ميلادها. تصوّر يهديها مصباحاً محلّى بنقوش إله الحب.!

فقال ابنها «جورج»:

ـ وأيّ ضير في هذا.؟

فقالت الأم:

إنّ «بروس كوري» يحب مسز «مانسون»، والمؤلم في هذا أنّ مستر «مانسون» غافل عمّا يجري أمام عينيه، ولم تخامرْه الشكوك لحظة واحدة.

ـ أرجوك يا أماه. دعي مسز «مانسون» في محنتها، ولنتحدّث في شيءٍ آخر.

ـ في أيّ شيءٍ تريدني أن أتحدّث.؟

ـ أي شيء. مثلاً أريد أن أسألك عن «روبي». هل رأيته يوم وفاته.؟

ـ كلا. لم أره بالطبع.

ـ ولكنّني رأيتك تذهبين بعد ظهر ذلك اليوم إلى منزل مسز «مانسون»، رغم أنّك انقطعت عن زيارتها منذ شهور. وقد رأيتك تصلين إلى باب البيت، ولكنّهم لم يأذنوا لك بالدخول. والذي أثار استغرابي هو السرّ في اختيارك للزيارة هذا اليوم وهذه الساعة بالذات.

فقالت «أليس» في شيءٍ من السخرية.

ـ الحق أنّ لي ابناً غبياً. إنّني لم أختر للزيارة لا هذا اليوم ولا

هذه الساعة، كما أنّني لم أمنع من دخول البيت. كلّ ما هناك أنّني شعرت برغبةٍ في زيارة «نورا» فما كان منّي إلاّ أن ذهبت، وحين علمت بما حدث «لروبي» آثرت أن أعود وأن أرجىء الزيارة.

فقال «جورج»:

ـ ولكنك لم تعودي إلى البيت. كنت في هذه اللحظة قادماً من المحطّة، فرأيتك تدورين حول البيت، وتتطلّعين إلى نافذة الدور المسحور.

وتضرّج وجه «أليس بيري» احمراراً، وبانت في وجهها أمارات الارتباك وقالت!

ـ إذن فقد رأيتني. حسناً. إنّ التعليل بسيط. عندما فتحوا لي الباب تناهى إلى سمعي صوت «نورا» وهي تبكي فلمّا انصرفت رثيت لحالها وتألّمت، رغم أنّ علاقات الصداقة بيننا ليست قوية، فاقتربت من نافذة الدور المسحور لكي أطمئن عليها.

فضحك «جورج» وقال في شيءٍ من التهكّم!

ـ إذن فالاطمئنان هو الدافع الوحيد. لقد لمحتك يا أماه وأنت تتطلّعين إلى النافذة، ثم رأيتك تنحنين على الأرض وتفتّشين على شيءٍ في الأعشاب.

واشتدّ ارتباك الأم وقالت:

ـ «جورج». لا تحرجني بنظراتك. نعم. إنّني رأيت «روبي» من هذه النافذة. رأيته قادماً من الخارج مهرولاً يكاد يجري، وتساءلت عمّا دعاه إلى الحضور مبكراً في غير موعده المألوف. وكنت أعلم أنّ «نورا» ليست في البيت، لأنّني رأيتها في الصباح تغادر البيت في سيارتها. وبعد فترة من الوقت صعدت إلى غرفتي لأبدّل ثيابي، وحانت منّي لفتة إلى الخارج فأدهشني أن رأيت نافذة الغرفة المسحورة مفتوحة فقلت في نفسي لا بدّ أنّ «روبي» منهمك في الكتابة على الآلة الكاتبة. وعندئذ

حدث أمر عجيب. رأيت شيئاً يطير من نافذة الغرفة المسحورة ويسقط بين الحشائش.. وكان هذا الشيء لامعاً يتألّق في الشمس وهو يطير في الهواء.

فقال «جورج»:

ـ وهذا الشيء هو المفتاح.

ـ ماذا تقول.؟

ـ الشيء الذي وقع بين الأعشاب هو مفتاح الدور المسحور، فقد أوصد «روبي» الباب على نفسه، ورمى المفتاح في الحديقة.

ولبثت «أليس بيري» برهة صامتة، ثم قالت:

ـ هل رأيتني يا «جورج» ألتقط المفتاح من بين الأعشاب.؟

ـ كلا، ولكنّني رأيتك تنهضين واقفةً وتعودين إلى البيت.

ثم أردف:

ولقد بحثوا عن المفتاح طويلاً دون أن يعثروا عليه. وقد ركّب «مانسون» للباب قفلاً جديداً.

فقالت:

ـ لقد رأيته فعلاً صباح اليوم حين كنّا في زيارتها.

ثم تنهّدت وأردفت تقول:

ـ إنّ شللها نعمة على زوجها، إذ يمكنه خلال مرضها أن يطلق يده في أموالها دون أن يحاسبه أحد على ما يفعل، وإذا ماتت «نورا» ورثها «مانسون» وأصبح غنيّاً.

فقال «جورج»:

ـ إذا ماتت أصبح «كوري» أكثر غنى. أنسيت أنّها ورثت أموالها عن زوجها السابق «كوري».؟ وما دام «روبي» قد مات فإنّ الثروة تعود إلى عمّه.

وسألته:

ـ هل «بروس كوري» غني.؟

ـ إنّه يلعب بالمال.

ـ أهو أغنى من «رالف مانسون».؟

ـ إنّ «مانسون» يتقاضى مرتباً كبيراً، كما يضارب في البورصة.

ـ هذا ما ظننت.

ثم أردفت:

ـ إلى أي شيءٍ تتطلّع يا «جورج».؟

كان واقفاً عند النافذة يتطلّع إلى الخارج باهتمامٍ وتركيز.

ـ إنّها «ميلي سيلز» مرتدية معطفها الأحمر، وخارجة تتمشّى كعادتها، وإن لم يكن هذا الموعد الذي اعتادت أن تقوم فيه برياضتها اليومية.

ومطت «أليس بيري» شفتيها وقالت!

ـ إنّهم يدللونها أكثر ممّا ينبغي. «مانسون». «كوري». «بابوك». آه. ! ألا تبّاً للرجال. !

وسألها «جورج»:

ـ ما رأيك يا أماه في «ميلي».؟

فقالت تراوغه:

ـ دعنا الآن من هذا فلم يحن الوقت بعد لكي أبدي رأيي.

وأخذت «ميلي» تلاعب الأطفال وهي تتمشى في الحديقة العامّة حتى انتهت إلى أقصى موضعٍ فيها دون أن تجد مقعداً واحداً خالياً. وخطر لها أن تزور أمّها وأن تتناول الغداء عندها. غير أنّها ما لبثت أن نفضت هذا الخاطر عن ذهنها فإنّ أمّها من الذكاء بحيث سوف تتبيّن في محيّاها أمّارات القلق، وستلحّ عليها بالسؤال إلى أن تجد نفسها مضطرة إلى أن تروي لها أحداث الليلة السابقة وما كان من أمر الذراع الطويلة التي رأتها «هاتي» تزحف فوق الجدار. وستطلب منها أن

تستقيل وتنأى بنفسها عن هذه الأخطار.

قبل مغادرتها البيت الآن قابلت «هاتي»، وناقشتها فيما ذكرت عن الذراع الطويلة.

وقالت «هاتي»:

ـ إنّني لست واهمة يا مس «سيلز». اذهبي إلى غرفتي وأطلّي من النافذة، وسترين أغصان اللبلاب المهشّمة. لقد هشّمتها الذراع وهي تزحف فوق الجدار.

ومضت «هاتي» تتحدّث في يقينٍ، «وميلي» تستمع إليها في دهشةٍ وإنكار.

وزحفت الذراع هابطة من أعلى، ثم لمست وجهي، وبعد ذلك صعدت إلى أعلى. إلى حيث جاءت. صدّقيني يا مس «سيلز». إنّني لم أحلم. وليس هذا فقط، بل إنّني سمعت وقع أقدام فوق رأسي.

وهزّت «ميلي» كتفيها استخفافاً وقالت:

ـ ما من إنسانٍ يستطيع أن يصدّق حكايتك يا «هاتي».

وعند هذه الكلمات استدارت «ميلي» خارجةً من البيت وهي تبتسم استخفافاً.

وفي الحديقة اهتدت أخيراً إلى مقعدٍ خالٍ، فاستوت جالسة!

وسمعت بجانبها صوتاً نسائياً يقول:

ـ إنّك طيّبة القلب جداً. لقد رأيتك تلاعبين الأطفال في حنان.

كانت صاحبة هذه الكلمات امرأة ترتدي معطفاً أخضر اللون، وفوق رأسها قبّعة خضراء.

وشكرتها «ميلي»، واستطردت ذات المعطف الأخضر تقول:

ـ إنّك ممرضة مسز «مانسون»، أليس كذلك.؟

وتجلّت الدهشة في عيني «ميلي»، فأردفت المرأة تقول:

ـ لقد رأيتك تغادرين البيت منذ قليل. إنّ لي معرفة بمسز

«مانسون»، فكيف حالها الآن.؟
ـ إنّها أحسن حالاً. إنّ صحّتها في تحسّن مستمرّ.
ـ يسعدني أن أسمع هذا، فقد قيل لي إنها أصيبت بنكسة.
واستطردت ذات المعطف الأخضر تقول:
ـ إنني أعرف أهل البيت جميعاً، وإن كانت معرفتي بهم بسيطة. مستر «مانسون». ومسز «كوري». «وإيما». كما أعرف جيرانهم آل «بيري»، وكذلك الدكتور «بابوك».
وتململت «ميلي» في مقعدها. ما الذي تبغيه هذه المرأة منها.؟ ولم فرضت نفسها عليها.؟ أتراها تريد أن تقول لها شيئاً.؟
وذكرت عند هذا ما قالته «مارج» من أنّ امرأة جاءت إلى متجرها وأخذت تستفسر عنها، وأرادت أن تعرف عنوانها أتكون ذات المعطف الأخضر هي نفسها تلك التي ذهبت إلى متجر «مارج» تستعلم عنها.؟
واستطردت المرأة تقول وعلى شفتيها ابتسامة ودودة:
ـ يؤسفني أنّي لا أعرف اسمك. أمّا أنا فاسمي هو مس «بيرد»، وأعيش في «نيويورك»، ولكنّني أتردّد على هذه البلدة من حينٍ لآخر.
ولاذت «ميلي» بالصمت، ولم تحاول أن تعرّفها بنفسها وإنّما تطلّعت في ساعتها وقالت:
ـ آه. ! لقد حان موعد انصرافي.
هلاّ منحتني دقيقة واحدة من وقتك.
وتأبّطت ذراعها وهي تقول:
ـ أكون ممتنّة لك جداً يا مس.. يا مس إن أنت منحتني دقيقة واحدة من وقتك.
وكان أن أجابت «ميلي»: إنّني آسفة جداً يا مس «بيرد»، إذ لا

بد أن أذهب الآن لزيارة أمي، ولكنّني أرجو أن نلتقي مرة أخرى.

وبادرت تغادر المكان في خطواتٍ سريعةٍ، ومس «بيرد» تتابعها ببصرها.

ومن نافذة المخدع كانت المرأة المشلولة ترقب ما يجري في الخارج. لقد تحدثت الممرّضتان، فهل كان لدى مس «بيرد» ما جعلها ترتاب في مؤامرة تدبّر لقتلي.؟ وهل صارحت مس «سيلز» بشكوكها.؟ ولكنّ الحديث لم يمتدّ بينهما إلاّ دقائق معدودات، فهل كتمت الأمر عن ممرضتي يا مس «بيرد».؟

وارتدت مسز «مانسون» إلى صحائف الماضي. ها هم جميعاً يتساءلون عن «روبي». هل رجع إلى البيت.؟ ها هم جميعاً مجتمعون أمام باب الدور المسحور، ومستر «كوري» يحاول أن يحطّم القفل.

كانت عينها على الباب، وتوقّف كلّ شيء فيها: نبضها ومشاعرها، وأفكارها. شيء واحد كانت تحسّ به. يداها.! كانت يداها تؤلمانها ألماً شديداً.

كانت «إيما» واقفة وراءها، «وبروس ورالف» بينها وبين الباب يعالجانه بأدوات النجارة.

وهمست في صوتٍ أدنى إلى الحشرجة!

ـ يدي تؤلمني جداً. أسندوني. أرجوكم. أمسكوا بيدي. إنّ أوجاعها لا تطاق.

وأمسكت «إيما» بيدها في رفقٍ وحنان.

وكانت تموّه في نفسها وتحاول أن تخدعها. لقد أوصد «روبي» الباب على نفسه ليخلو إلى آلته الكاتبة. وهو لا يردّ على ندائنا لأنّه لا يريد أن يزعجه أحد أثناء انهماكه في الكتابة. الآن سنفتح الباب، وسيستقبلنا مرحّباً، ونتناول العشاء معاً ـ نحن الأربعة.

إنّه لا يردّ لأنّه استغرق في النوم. إنهم في البنك يرهقونه

بالعمل. سأتحدّث إلى «رالف» في هذا، وسأطلب منه أن يسند إليه عملاً خفيفاً.

وأخيراً استجاب الباب وانفتح.

وتقدّمت «نورا» داخله. كانوا حولها يسندونها، وكانت خطواتها مترنّحة غير مستقرّة ـ ورأته. رأت ابنها «روبي».

ولكنّ الواقع أنّها لم تره، وإنّما رأت حذاءه يتأرجح في الهواء، ويعلو عن أرضية الغرفة بضع أقدام، وحين أرادت أن ترى وجهه كان لا بدّ لها من أن ترفع رأسها ـ لأنّ ابنها «روبي» كان معلّقاً في عوارض السقف. كان مشنوقاً يتدلّى من السقف.

كان كل شيء. كل ما مضى. ماثلاً أمامها وإذا كانت مشلولة، فإنّ مخّها لا يزال سليماً صافي التفكير.

وفي هذه اللحظة فتح الباب، ودخلت «ميلي سيلز». وقالت «إيما»:

لقد بكّرت في العودة.؟

ـ شعرت بالملل فآثرت أن أرجع.

والتفتت «إيما» إلى مسز «مانسون» قائلة:

ـ أتعلمين يا مس «نورا» أنّك سعيدة الحظ بأن تكون ممرضتك هي مس «سيلز».؟ تصوّري أنّ موعد عودتها في السابعة مساء، ومع ذلك بادرت بالرجوع الآن لفرط تعلّقها بك. إنّها لا تطيق أن تفترق عنك.

ثم تحوّلت إلى «ميلي» تسألها:

ـ هل تناولت الغداء عند والدتك.؟

ـ كلا، فلست أشعر بالجوع.

وأردفت: هل أكلت مسز «مانسون» جيداً.!

ـ أوه. لقد أطعمتها حتى التخمة.

وأقبلت «ميلي» على مريضتها تتحسّس يديها في رقّة وحنان.

وتلاقت عيناها بعيني مسز «مانسون». كانت نظرتها إليها عميقة وثابتة، وفيها حديث طويل، ولكنّه حديث غامض غير مفهوم.

وقالت «ميلي»: اسمعي يا مسز «مانسون». إنّني أعرف أنّني مقصّرة في حقّك. إنّني أحاول أن أرضيك، ولكنّي أراني عاجزة عن ذلك، ففي عينيك كلام كثير ولكنّه غامض عليّ. ألا ليتك تتكلّمين. لو أنّني فهمت ما تريدين لسارعت إلى تلبية كلّ رغباتك. إنّني أحبّك من أعماق قلبي، ولا شيء يهمّني إلاّ إرضاؤك وإسعادك. إنّك يا مسز «مانسون» أكثر من مريضة. عيناك تقولان إنك خائفة من الموت. ولكنّي أحبّ أن أؤكّد لك يا طفلتي العزيزة أنّه ليس ثمّة من سبب ما يدعو إلى توقّعك الموت. إنّ حالتك الصحية مستقرّة وفي تقدّم مستمرّ فلا تخافي من الموت. أرجوك أن تصدّقيني. إنّني صديقة لك.

وأطبقت مسز «مانسون» عينيها لحظة، وراحت أنفاسها تتلاحق، وصدرها يعلو وينخفض.

وقالت «ميلي»: هذا أفضل. إنّ البكاء مفيد لك إنّه يخفّف الكرب عن صدرك. لكم أتمنّى يا مسز «مانسون» أن ألتقي بشخص يعرفك حق المعرفة لكي يحدّثني عن خفاياك. لو أنّ هذا حدث لأعانتني هذه المعلومات على شفائك.

كانت عينا مسز «مانسون» مطبقتين، ولكنّ الكلمات كانت تجيش وتصطخب في أعماق صدرها. إنّك تريدين يا مسز «سيلز» شخصاً يعرفني، أليس كذلك إنّك التقيت بهذا الشخص اليوم في الحديقة. مس «بيرد». المرأة ذات المعطف الأخضر. لقد عملت ممرضة لي عند بداية مرضي. طردوها. فلماذا طردت؟. لا شك أنّها لاحظت شيئاً مريباً. لا شك أنّها فطنت إلى المؤامرة التي تدبّر لقتلي، ومن أجل

هذا طردت. إنّك تحدّثت إليها يا مس «سيلز». لقد رأيتكما من نافذة مخدعي وأنتما جالستان معاً فهل ذكرت لك شيئاً؟. هل حدّثتك عن شكوكها؟. لا أظنّ أنها أفضت إليك بهواجسها فقد كان حديثكما قصيراً، قصيراً جداً، ثم رأيتك تنهضين مزمعة الانصراف.

وقالت «ميلي»: والآن أتحبّين أن آتيك بالجيلي أو بعصير الليمون؟.

وجاءت «إيما» تحمل أباجورة بدلاً من القنديل المشروخ الذي أخذته مس «بيري». وكان المصباح الجديد جميل الشكل تحلي قاعدته نقوش من الورود والزهور.

وقالت «ميلي»: ما أجمل هذا المصباح. انظري يا مسز «مانسون». كم هو جميل. إنّ أزهاره تبدو كأنّها حقيقية.

وقالت «إيما» في زهوٍ وخيلاء: إنّه من مقتنياتي لقد اشتريته منذ سنوات. إنّني أحبّ الزهور.

وأردفت «إيما» متسائلة: أتنوين الخروج هذا المساء؟

ـ لا أدري. ربّما. ولكن لم تسألين؟.

لأنّني أفكّر في زيارة أختي، فإنّها على وشك الوضع.

فقالت «ميلي»: إذهبي إليها إذن، فليس في نيّتي أن أخرج الليلة.

وعادت «إيما» تتساءل: ولكن أين ذهبت صباح اليوم.

ـ لقد جلست في الحديقة فترة من الوقت. وبهذه المناسبة. لقد التقيت في الحديقة بامرأة ذكرت لي أنّها تعرف مسز «مانسون»، وأنّها تعرفك أيضاً يا «إيما».

مس «سيلز». «إيما». هذا ما كنت أتمنّاه. كنت أتمنّى أن تتحدّث مس «بيرد» إلى «ميلي»، وأن تكاشفها بشكوكها فهل فعلت؟. ترى هل فعلت؟.

وقالت «إيما»: ما من إنسانٍ في هذه البلدة لا يعرفني. ولكن من تكون هذه المرأة.؟ ما شكلها؟.

ـ إنّ لها أنفاً بارزاً شبيهاً بأنف الصقر، وترتدي معطفاً أخضر اللون، وأذكر أنّها قالت.

ودقّ جرس الباب، وأسرعت «إيما» تلبّي الطارق وانقطع الحديث.

وأطبقت مسز «مانسون» عينيها، فلم يعد ثمة أمل في معاودة الحديث عن مس «بيرد».

وأدنت «ميلي» المقعد الكبير من الفراش، واستوت جالسةً كانت متهالكة متعبة. نعم. إنّني متعبة، فلم لا أنام؟: إنّني في حاجةٍ إلى شيءٍ من الراحة، وأعصابي تكاد تنهار، وإن لم يكن من حق الممرضة أن تنهار أعصابها.. وتنهّدت، وتثاءبت، ونامت.

وجنباً إلى جنبٍ كانت المرأتان راقدتين، إحداهما على الفراش، والأخرى على المقعد الكبير. كانت عيونهما مطبقة، ولكنّ واحدة منهما هي التي كانت نائمة، أما الأخرى فكانت مستيقظة. مستيقظة مع الذكريات والخواطر التي تعصف بها.

صحت «ميلي» على الدكتور «بابوك» وهو واقف عند رأسها فلم تشعر به وهو يفتح الباب، ولم تشعر به وهو يدخل وهبّت واقفة تتعثّر في خطاها، وتتعثّر في كلماتها.

قالت: دكتور «بابوك». إنّني آسفة، لقد غلبني النوم.

ـ ولم لا؟ إنّك متعبة. ولكن هل حدث تغيير؟

وهزّت «ميلي» رأسها سلباً، واستطرد الطبيب.

ـ أعتقد أنّها تمرّ الآن بفترةٍ يخشى معها أن تصاب بنكسةٍ، فيجب أن نكون على حذر.

وقالت «ميلي» في نفسها: ما هذا يا دكتور.؟ كيف تردّد هذا

على مسمعٍ من مسز «مانسون».؟ ألا تعلم أنّ هذه الكلمات قد تؤدّي إلى إصابتها بالنكسة.؟

وسألته «ميلي»: الجو دافىء اليوم، فهل أستطيع أن أجلسها في الشرفة؟

وأجاب: كلا. لا داعي. هذه الغرفة آمنة، وفي جدرانها حماية لها. إنّ المرضى من طرازها يخافون الفضاء.

ولم تجب مس «سيلز»، فقد كان لها رأي آخر. لقد علّموها أثناء دراستها أنّ المشلول بمجرّد استطاعته الجلوس يجب أن يجلس في الهواء الطلق لكي ترتفع روحه المعنوية.

ودار الدكتور «بابوك» في أرجاء الغرفة متفحّصاً كلّ شيءٍ فيها، متطلّعاً إلى كلّ ركنٍ، وحتى سلّة أشغال الإبرة الخاصة «بإيما» نظر فيها، ثم انصرف.

ومالت «ميلي» إلى مسز «مانسون» تقول وهي تضحك.

- لو أنّك رأيت كيف فحص كلّ شيءٍ في الغرفة لتبادر إلى ذهنك أنّه ينوي أن يبيع محتويات الغرفة في المزاد.

ولكنّ دكتور «بابوك» ما لبث أن ارتدّ راجعاً إلى الغرفة ودار في أرجائها مرة أخرى، وقال يخاطب الممرضة.

- مس «سيلز». إنّني قلق بشأنك. إنّني مشفق عليك. لقد بدأت تبدو عليك أعراض الانهيار والإرهاق، ممّا يجعلني أعتقد أنّك في حاجةٍ إلى من يساعدك في عملك. إنّني طبعاً لا أطعن في كفاءتك، ولكنّني أرى أنّك في حاجةٍ إلى الراحة.

وهتفت «ميلي»: كلا. كلا. إنّني بخير، ولست مرهقة. إنّني أحبّ مسز «مانسون»، ولا أريد أن تحلّ مكاني ممرضة أخرى. حتى ولو بضعة أيام. وهي أيضاً تحبّني، ولا تريد سواي. أليس كذلك يا مسز «مانسون»؟ انظر إليها. انظر إلى عينيها. إنّها تقول لا. هذه

النظرة معناها لا. إنّها تقول لك يا دكتور «بابوك» إنّها لا تريد ممرضة سواي.

وابتسم الدكتور «بابوك» وقال في لهجةٍ مترفقة:

ـ لا بأس يا ابنتي. استمرّي في عملك، وسوف نرى كيف تتطوّر الأمور.

ثم أردف: لقد نبّهت على «إيما» بأن تنام الليلة في غرفتها فلست أريد أن تعتمد مسز «مانسون» على: «إيما» اعتماداً كاملاً أريد أن يكون الشخص الذي يرعاها غير مرتبطٍ بالماضي شخص غريب. مثلك أنت. إنّنا نريد أن ندفن ذكريات الماضي فهذا يساعد على شفائها.

وحين انصرف الدكتور «بابوك» ارتدّت «ميلي» إلى مقعدها، ومضت تتأمّل وجهها الشاحب المنعكس على صفحة المرآة. ثم أطبقت عينيها، ولزمت مكانها إلى أن جاءت «إيما»، وكانت الساعة إذ ذاك قد تجاوزت الرابعة والنصف مساء.

أشعلت «إيما» نيران المدفأة، وجلست المرأتان تصطليان الدفء. أما مسز «مانسون» فكانت مطبقة عينيها، محتضنة خواطرها، مستسلمة إلى ما يجول في صدرها.

وقالت «إيما» وهي تحرّك يديها أمام النيران.

ـ تصوّري أنّني اليوم لم أستطع أن أبعد «روبي» من ذهني لحظة واحدة. لقد ظلّ طوال اليوم يلاحقني أينما ذهبت.

فقالت «ميلي» في صوتٍ خافتٍ: ولكن لم اليوم بالذات؟.

ـ لأنّ اليوم هو الأحد، وكان من عادته في أيام الآحاد أن يلزم البيت لا يخرج، وأن يظلّ طوال النهار صاعداً هابطاً، يقفز الدرجات ويصفّق الأبواب.

ثم أردفت: لقد ذكرت لي «هاتي» أنّها سمعت صوته ليلة الأمس.

ـ «هاتي» تخرّف دون شك.

وتطلّعت «ميلي» إلى مسز «مانسون» وتساءلت.

ـ هل أنت نائمة يا مسز «مانسون».؟ يبدو أنّها في هذه المرة نائمة حقاً، فلست أعتقد أنّها تحاول أن تخدعني.

ثم استرسلت: إنّني لا أعرف عن «روبي» إلاّ القليل، وكلّما طرقت الموضوع مع «جورج» أدار دفّة الحديث إلى شيءٍ آخر، كما أنّ ما نشرته الصحف عن الحادث كان محدوداً جداً.

فقالت «إيما»: هذا شأن الصحف دائماً إذا كان الأمر متعلّقاً بالكبرياء. وقد دفعت مسز «مانسون» للبنك مبلغاً يعادل ما اختلسه ابنها فلم يخسر البنك سنتاً واحداً.

وقالت «إيما» مستطردة: لقد نشأ «روبي» مدلّلاً، ونحن نعرف ذلك، ولكنّني لا أعتقد أنّه يمكن أن يقدم على السرقة. ثم ما الذي يجعله في حاجةٍ إلى المال، ولديه منه أكداسٌ مكدّسة. أعني لدى أمّه.

واستطردت: ثم إنّه شاب مستقيم وإن كان مدلّلاً فهو لا يدمن الخمر، ولا يلعب القمار، ولا يجري وراء النساء.

وراحت «إيما» تروي للممرضة ما كان من «روبي» في يومه الأخير.

قالت: لقد رجع إلى البيت وأنا في السوق أشتري الحاجات المنزليّة، وكانت «هاتي» في المطبخ منهمكةً في العمل والباب مغلق عليها، فلم تعرف بقدومه. وعندما رجعت من السوق أخذت في إعداد العشاء. وبعد ذلك جاء إليّ مستر «بروس» واستدعاني.

وهرعوا جميعاً في ذلك اليوم إلى الدور المسحور، ونادوا على «روبي»، فلم يرد النداء، وكان الباب موصداً بالمفتاح فجاء مستر

«بروس» بأدوات النجارة وكسر القفل. وفي أثناء ذلك دقّ جرس الباب الخارجي، وكانت مسز «بيري» هي الطارقة.

ـ وحين اقتحمنا الغرفة وجدنا «روبي» المسكين يتدلّى من السقف، إذ شنق نفسه. إنّه عزيز عليّ فقد تولّيت تربيته. وقد رأته مسز «نورا» مشنوقاً. يا لها من مسكينة.! كانت الصدمة شديدة الوقع عليها.

وقالت «ميلي»: كفى. كفى. لا داعي لأن تردّدي هذا الحديث أمامها، فقد تصحو فجأة من نومها فتسمعك.

ـ إنّها مستغرقة في النوم فلا تخشي شيئاً.

واستطردت: ولقد انهارت مسز «مانسون»، ولم نشعر إلاّ وقد تهاوت على الأرض عند أقدامنا، وكاد مستر «رالف» ومستر «بروس» أن يجنّا إشفاقاً عليها وخوفاً. كان يبدو كأنّما لفظت أنفاسها الأخيرة وأصبحت جثة هامدة، وجاء الدكتور «بابوك» وأخذ يعالجها، ولست أدري.

ولوّحت «ميلي» بيدها تطلب إليها أن تصمت وأن تكفّ عن هذا الحديث.

وفي الخامسة والنصف جاءت «هاتي» تحمل إلى العليلة طعام العشاء.

وقالت «إيما» وهي تحاول أن تطعمها:

ـ مس «نورا». افتحي عينيك. أرجوك. لقد جاءتك «هاتي» بطعام شهيٍّ يسيل له اللعاب.

وفتحت مسز «مانسون» عينيها، وتطلّعت إلى طبق اللحم المشوي، وكان جليّاً في البداية أنّها ترفض أن تأكل.

وقالت «ميلي» محاولةً أن تحثّ مريضتها على تناول الطعام.

ـ أرجوك يا «هاتي» أن تحضري عشائي فاللحم يبدو شهيّاً لذيذاً.

وشرعت مسز «مانسون» تتناول عشاءها.

وهبط الليل، وأخذت عتمة الغسق تنشر ظلالها على الغرفة.

وتكلّمت «إيما» إلى المرأة الساكنة كالجثة الهامدة:

ـ هيّا نامي يا مسز «مانسون». إنّ النوم يفيدك، أمّا التفكير واستعادة الذكريات المحزنة فجدير بأن يحطّمك.

ولكنّها ظلّت مطبقة العينين تفكّر. هيّا يا مس «سيلز». هيّا عودي إلى بيتك. إنّك ما زلت شابة، فلم تبقين في البيت، والليلة هي ليلة الموت. عودي إلى دار أمك، وإلّا نزل بك الموت كما سوف ينزل بي، هيّا اهربي. ابتعدي يا مس «سيلز»، وإلّا هصر الموت شبابك.

وأخذوا يتوافدون تباعاً. جاء مستر «مانسون»، وبعده مستر «بروس»، ثم «جورج». وجلسوا في الغرفة بعد أن ألقوا التحية على المريضة العزيزة. كانوا صامتين واجمين، ولم يفكّر أحدٌ منهم في أن يقرعوا الكئوس ويشربوا الأنخاب، وبعد فترةٍ قصيرةٍ أدار أحدهم الراديو، وامتلأت الغرفة بضجة الطبول الزنجيّة، وعلا صوت المغنّي وهو يردّد متوجّعاً: «وداعاً يا حبيبي وداعاً. أهكذا ترحل دون أن تقبّلني.؟ كيف لا تقبّلني وأنت تعلم أنّه الوداع.؟ الوداع الأبدي الذي لا رجعة بعده».

وصرخت «ميلي»: أوقفوا الراديو. إنّي لا أحبّ هذه الأغنية. إنّها محزنة سخيفة.

وبادر «جورج» فأوقف الموسيقى، وقال «بروس كوري»: «إنّني آسف يا مس «سيلز»».

وتساءل مستر «مانسون»: هل جاء الدكتور «بابوك»؟

وإذ ردّت «ميلي» إيجاباً سألها: وما الذي قاله؟.
ـ لم يقل شيئاً ذا أهمّية. إنّه لم يمكث إلّا قليلاً.
واستطرد «رالف»: هل أنت متعبة يا مس «سيلز».؟ يمكنك أن تستريحي، ففي وسعنا أنا «وبروس» أن نحلّ مكانك.
ـ شكراً لكما. إنّني لست متعبة.
وانصرف «رالف» يصحبه «كوري»، أمّا «جورج» فتخلّف عنهما.
وهمس «جورج» يخاطب «ميلي»:
ـ تعالي إلى الشرفة برهةً فإنّي أريد أن أتحدّث إليك.
كانت الحديقة مظلمة وأوراق الخريف تغطي الأعشاب وتراءت وار المنبعثة من بيت آل «بيري» وهي تشقّ لنفسها طريقاً وسط الأشجار.
وقال لها «جورج»:
أنصتي إلي يا مس «سيلز».
لقد فكّرت طويلاً في موضوع القنديل الذي أسقطته الريح بالأمس من فوق المنضدة فانشرخ، واكتشفت شيئاً عجيباً.
فسألته «ميلي»: وما الذي اكتشفت يا ترى؟.
ـ بالأمس كان الطقس ساكناً، ولم تكن هناك رياح على الإطلاق. إنّ هذا القنديل لم يقع بفعل الريح، وإنّما أسقطه شخص ما. ربّما «إيما». وربما مستر «مانسون» نفسه.
فقالت «ميلي»: من المؤكّد أنّ «إيما» ليست هي التي أوقعت القنديل، فلو أنّها فعلت لاعترفت بذلك دون مواربة، كما أنّني أنا أيضاً لم أسقطه.
ـ اسمعي. لقد تجوّلت في حديقتكم اليوم بعد بزوغ الفجر، كما

تجوّلت الآن قبيل حضوري توّاً، باحثاً عن آثار أقدام أو بصمات أصابع سواء في الحديقة أو على الجدار إنّني لم أكن موقّناً من أنّ ما رأيته في الليلة الماضية كان كلباً فقد كان أضخم من أن يكون كلباً. وعلى أية حال سواء كان الزائر الليلي كلباً أو لصاً إنّه ينبغي أن نبلّغ الشرطة.

واتكأت «ميلي» على حافة الشرفة، وحدّقت في الجدار عند نافذة «هاتي».

كانت أغصان اللبلاب فعلاً مهشّمة.

واستدارت إليه، وألقت بيدها على كتفه، وكانت أنفاسها العطرية تمسّ وجهه وقالت:

ـ «جورج». أين كنت ليلة الأمس في العاشرة والنصف؟

ـ في الفراش طبعاً، ولكن لم تسألين. ؟

ـ لأنّني اتصلت بك، ولكنّك لم ترد على التليفون.

فأجاب: لقد سمعت فعلاً رنين الجرس، ولكنّني لم أحفل بالرد، لأنّني كنت متدثراً بالأغطية اتقاء للبرد، فضلاً عن أنّ أسناني كانت تؤلمني.

وسألته: إنّك لم تحدّثني عن آثار الأقدام والبصمات ترى هل اهتديت إلى شيء. ؟

ـ نعم. لقد اكتشفت آثار أحذية. أحذية رجال وكان ذلك الآن.

ـ وعند الفجر. ؟ ألم تكتشف شيئاً. ؟

وأضافت: «جورج». أرجوك. لا تكتم دوني شيئاً. ولبث برهة صامتاً يحدّق في عينيها دون أن يجيب. فقالت له: إنّك رأيت شيئاً، فما ذلك الذي رأيت؟.

وأجاب: شيء ما وقف في حوض الأزهار تحت نافذة «هاتي»،

لأنّ الزهور كانت مهشّمة. ولست أدري إن كان وقوفه قبل أن يتسلّق الجدار على شجرة الليلاب أو بعد هبوطه والشيء الذي تسلّل إلى غرفة مسز «مانسون». أدركه الخوف ففرّ هارباً، ولذلك أوقع القنديل في تعجله. وقد انطبعت آثار أقدامه على أرضية الشرفة، ثم قفز يتخطى السياج، وهشّم أغصان الليلاب.

وسألته «ميلي»: وما الذي تستنتجه من هذه الآثار؟

ـ إنّها آثار عجيبة. فلا هي آثار حيوان، ولا هي آثار إنسان. فهي أولاً كبيرة الحجم، ثم إنّها ليست آثار أقدام ولا آثار مخالب. إنها آثار أيد. أربع أياد.

وقالت «ميلي» في دهشة: أيد.؟ هذا عجيب.؟

ـ نعم. أربع أيد. كأنّ «الشيء» يزحف على أربع.

وسألته: ولكن ما شكل هذه الأيدي.؟ أهي شبيهة بسمكة نجمة البحر.؟

وتطلّع إليها «جورج» في استغراب قائلاً:

ـ وكيف علمت بهذا.؟

ولم تردّ على سؤاله، وإنّما قالت:

ـ ولكنّ «هاتي» قالت أنّها رأت يداً واحدة، لا أربع أياد كما تقول أنت.

ـ إنّ تفسير هذه الظاهرة ليس بالأمر العسير. إنّها رأت يداً واحدةً تزحف على الجدار، فلعلّ هذه اليد كانت تبحث عن شيء تتعلّق به. شيء تمسكه، في حين كانت بقية الأيدي مستقرّة في مواضعها، فلما صرخت «هاتي» فرّت الأيدي هاربة، وهبطت إلى الحديقة فانطبعت عليها آثارها، ثم اختفت، ولا تسليني كيف اختفت وإلى أين ذهبت فلا جواب لدي على هذا السؤال، إذ ما يدريني إن في قدرتها أن تسبح أو تطير في الهواء.

ثم أردف يسألها: هل أنت خائفة.؟

ـ ولم أخاف.؟ كلا. إنّي لست خائفة.؟

ـ على أية حال أغلقي بابك ونافذتك على سبيل الحيطة أغلب ظنّي أنّ بعضهم يبغي الدعابة والمزاح، وإن كان قد أسرف وتجاوز الحد المعقول. إنّي ذاهب إلى «فيردي» لأقصّ عليه كل شيء، ولعلّه بدورة رأى هذه الأيدي.

وقبّلها «جورج»، ومضى إلى شأنه منصرفاً.

وفيما هو يعبر السياج الذي يفصل بين البيتين جمد في مكانه متسمّراً. لقد ذكر عبارة ردّدها أحدهم «إنّني في حاجةٍ إلى زوجين من الأيدي». نعم. من الذي قال هذه الكلمات.؟ لعلّها «هاتي». بل لا. إنّها «ميلي». قالت إنها متعبة، وإنّ العمل مرهق، وإنها أصبحت عجوزاً، وإنها في حاجةٍ إلى زوجين من الأيدي لمساعدتها. إنّ هذه الكلمات عن الأيدي تثير في أعماقه ذكريات أخرى غامضة، ما زالت يكتنفها الظلام، ولم تتحدّد معالمها بعد. ذكريات غائصة في أعماقه.

ورجعت مس «سيلز» إلى بيت مريضتها، وجاءت «إيما» بالعشاء للثلاثة، ولكنّ مسز «مانسون»، كانت متمرّدة تأبى أن تأكل. وأخذت «ميلي» ترجو وتتوسّل، وهي تأبى إلاّ العناد والإصرار على الرفض. وحتى عصير الفراولة أبت أن تتناوله وأطبقت فمها كالطفل العنيد وحين رأوا عنادها أرقدوها في الفراش، ولكنّها حتى في هذا تمرّدت وحاولت أن تقاوم. كانت في عينيها نظرة التمرّد. نفس النظرة التي تلمّستها «ميلي» في عينيها الليلة الماضية حين أبت أن تتناول اللبن.

وطلبت «ميلي» من «إيما» أن تنصرف إلى شأنها، وجلست هي تأكل وهي تأمل أنّ تقبل مسز «مانسون» على طعامها. بيد أنّها كانت تتابع «ميلي» بعينين باردتين خاليتين من التعبير.

وها هي «إيما» قد انصرفت إلى بيت أختها لتحضر وضع ابنتها،

ولم يبق في الدار أحد سوى «ميلي وهاتي»، فهل ينتظر أن يحدث شيء الليلة.؟ هل حانت ساعة مصرعي؟ إنّ الأحداث لا تقع إلّا حين تكون «إيما» غائبة عن البيت.

يا إلهي. إنّي أحسّ أوجاعاً شديدةً تسري في بدني ألا يكفيني الشلل الذي يقيّد حركتي ولساني حتى تفترسني الأوجاع أيضاً.؟ لو أنّني لم أصعد إلى الدور المسحور لبقيت سليمة لم ينزل بي الداء. لولا صعودي لكنت الان على قيد الحياة. أرقص وأجري، وأضحك، لا تشغل بالي غير الحياة متدفّقة صاخبة. صعودي إلى الدور المسحور هو الذي أنزل بي هذه الكارثة.

أعرف أنّ ابني «روبي» قد مات. شنق نفسه في عارضة السقف في الدور المسحور. وبغتة استولت عليّ رغبة ملحّة جارفة في أن أرى مرّة أخرى المكان الذي شنق فيه نفسه. راودتني هذه الرغبة أياماً متّصلة، وأنا أتخلّص منها ولا ألقي إليها بالاً.

وذات يوم كنت وحدي في البيت. و«رالف وبروس» في عملهما في البنك، «وإيما» في السوق تشتري ما يحتاجه المنزل «وهاتي» في المطبخ تطهو الطعام، وأنا في غرفتي تفترسني الرغبة في مشاهدة غرفة الموت.

وفجأة سمعت الباب الخارجي يفتح، ثم سمعت وقع خطوات تصعد الدرج المفضى إلى الدور المسحور ترى من يكون هذا القادم.؟ ليست «إيما» بالطبع، فالوقت لم يتّسع بعد لعودتها.

وتناهى إلى سمعي صرير باب الدور المسحور وهو يفتح، ولم أتردّد. اللص، فقد استقرّ في ذهني أنّه لص دون شك.

كان باب الدور المسحور مفتوحاً. وبلغت البسطة الأخيرة، وتطلّعت إلى الداخل، ولم أصدّق عيني. على الأرض كانت الحقيبة الكبيرة التي كنّا نحتفظ فيها بلعب «روبي» عندما كان طفلاً. وإنّما

كانت تضمّ أيضاً أكداساً مكدّسةً من أوراق البنكنوت. الربع مليون دولار التي زعموا أنّ «روبي» اختلسها من البنك. التهمة الكاذبة التي ألصقوها «بروبي» فجعلوه ينتحر مراراً من العار.

ولم أتردّد عندئذٍ، وإنّما تخطّيت عتبة الباب، ودخلت.

انتصب واقفاً وتطلّع إليّ، وفي هدوءٍ قلت له: لص.

وابتسم في غير اكتراث، وقال:

ـ من سوء حظّك أنّك اكتشفت أمري. لقد أصدرت على نفسك حكماً بالإعدام.

كانت الذكريات تتوالى على رأس مسز «مانسون» متدفّقة جارفة، وهي طريحة الفراش مشلولة لا تقوى على الحركة أو الكلام. لسانها صامت، وجسمها هامد، ومخّها هو الشيء الوحيد الذي كان متنبهاً.

قالت له وهما واقفان في الدور المسحور يتبادلان نظرات هادئة:

ـ لقد غبنتك قدرك طوال عمري. لا. لم أكن أحسبك قادراً على التدبير وحبّك المكائد.

فقال باسماً: الناس جميعاً يعتقدون أنّني رجل فارغ العقل.

ـ ولكن لم أقدمت على ما فعلت.؟

ـ حب المال.؟ أثمة من يكره أن يكون غنياً.؟ ثم إنّي أكره النساء اللائي يرثن أزواجهن. إنّني أكدّ ليلاً ونهاراً، ومع ذلك ما زلت فقيراً لا أملك إلّا القليل، أمّا أنت فيموت زوجك «كوري» وترثين ثروة هائلة دون أي جهد. إنّني أمقت ذلك.

هل كنت وحدك في هذا التدبير، أم أنّ لك شريكاً.؟

ـ إنّني أكره الشركاء. وما حاجتي إلى شريك ما دمت أستطيع أن أعمل وحدي.؟

ومدّ يده يصلح من تنسيق رزم البنكنوت قبل أن يغلق الحقيبة. ولمست يده أربع أياد صفراء اللون كان «روبي» يلهو بها في صباه.

وقالت: لقد صنع هذه الأيدي ليلهو بها في عيد «جميع القديسين». كان يدخلها من النافذة وهو واقف في الحديقة ليخيف بها «إيما». وقد صنعها بنفسه من الخشب ودهنها باللون الأصفر.

وسألته: ولكن لم ألصقت التهمة «بروبي» بالذات، ولم تختر أحداً سواه.؟

ـ لأنه اكتشف الحقيقة وعرف أنني المختلس، فبادرت أحيك الأدلّة حوله وتكلّمت قبل أن يتكلّم.

ـ إذن فهذا هو السبب في أنّ «روبي» كان مهموماً شارد الذهن وهو يتناول الغداء معي في يوم مصرعه.

ـ أعتقد أنّ هذا هو السبب.

وسألته: ولكنّه لم ينتحر.؟ أنت الذي قتلته.؟

ـ كان لا بد من ذلك حتى لا أمنحه فرصة يدافع فيها عن نفسه ويفند أدلّتي.

ـ وإذنْ فأنت الذي وضعت في الآلة الكاتبة رقعة من الورق يعترف فيها بالسرقة وأنّه سينتحر فراراً من العار.؟

ـ تماماً. أنا الذي كتبت هذا الاعتراف على الآلة الكاتبة.

وساد الصمت بينهما برهة، وقطعته مسز «مانسون» بأن قالت:

فتطلّع إليها مستفسراً، فاستطردت تقول:

ـ أتدري ماذا سوف أفعل الآن.؟ ثم أضافت:

ـ سأبلّغ الشرطة. سأقول لهم إنك لصّ وقاتل.

وضحك ساخراً. وكانت ضحكة رهيبة. كانت حكماً بالإعدام.

ولم تشعر مسز «مانسون» بعدها إلّا بقطعةٍ من الحديد تستقرّ فوق رأسها، فتهاوت على الأرض موشكةً أن تفقد الوعي ثم شعرت به يوقعها بقوة فتدحرجت على درجات السلم حتى استقرّت عند قاعدته.

ثم غابت عن وعيها.

وأخيراً أفاقت. أفاقت على أصواتٍ وأشخاصٍ حولها. أصوات مختلطة، وأشخاص مهزوزة. كانوا وقوفاً عند رأسها، وهي طريحة على الأرض عند قاعدة سلّم الدور المسحور إذن فهي لا تزال على قيد الحياة. لقد أغمي عليّ فقط، وكنت أحسب أنّه قتلني. كما قتل ابني «روبي» من قبل.

جاءها صوت تعرفه. إنّه صوت «إيما».

ـ من حسن الحظ أنّني رجعت من السوق في الوقت المناسب.

وقال صوت آخر: لقد حسبتها ميتة.

وقال ثالث: أعتقد أنّها مصابة بصدمةٍ عصبيةٍ وشلل.

وتناهى إلى أذنيها صوت رابع يقول:

ـ لقد اتصلت بي تليفونياً، وسألتني أن أبادر إليها بأسرع ما يمكن. وحين حضرت طلبت منّي أن أنتظر ريثما تصعد إلى الدور المسحور، فلمّا أبطأت خامرني القلق عليها، فلحقت بها.

يا إلهي. من الذي يقول هذا.؟ من الذي يتكلّم.؟

وعاد نفس الصوت يتكلّم من جديد.

قال: كان باب الدور المسحور مفتوحاً. وخطر لي أنّها تنوي أن تنتحر بنفس الطريقة التي انتحر بها ابنها، فأسرعت صاعداً أقفز الدرجات، فوجدتها وشيكةً بأن تشنق نفسها، فبادرت أحاول إنقاذها، وتلاحمنا وتصارعنا، وسقطت على الأرض، وتدحرجت على السلّم إلى قاعدته، قبل أن أستطيع أن أخفّ إليها وفي تلك اللحظة، سمعت صوت «إيما» قادمة من السوق، ثم استدعيتكم جميعاً.

وارتفع صوت «إيما» متوجّعاً متشنجاً.

ـ عندما عدت من السوق رأيتها وأنا في طريقي إلى المطبخ طريحةً على الأرض عند قاعدة السلّم. عندما رأيتها كدت أجنّ يا

مستر «رالف» ويا مستر «بروس».

وقال الدكتور «بابوك»: مس «بيرد». عليك مراقبتها مراقبة دقيقة أثناء الساعات الخمس التالية، وإذا حدث أيّ تغيير فأخطريني على الفور.

ـ سنراقبها جميعاً. إنّها العناية الإلهية هي التي أنقذتها.

فقال الطبيب: إنّها لم تنج حتى الآن. إنّ حياتها معلّقة بخيطٍ واهٍ. من ساعة لأخرى.

ـ ومتى تتكلّم يا دكتور.؟

وكان الجواب: شلل أخرس لسانها وحال دون ـ حركتها لن تتكلّم ولن تتحرّك. ومع ذلك سأدعو إخصائياً لفحصها. والآن أرجو أن تتعاونوا لنقلها إلى مخدعها.

وخفتت الأصوات، وأحسّت بهم يرفعونها عن الأرض، ويمضون بها إلى غرفتها.

إذن فتلك القصة التي حبكوها. أرادت أن تشنق نفسها فحاولوا منعها، فتدحرجت على السلّم يا لها من قصة. وشعرت بالضحكة الساخرة تنحشر في حلقها. إذن فلينتظروا القصة الحقيقية. إنّها سوف تتكلّم وتروي الحقيقة. لن تتكلّم الآن، ولكنّها في يومٍ ستتكلّم، ولو بعد حين. وعندئذ سيعرفون أنّ هناك من حاول قتلها.

دارت هذه الخواطر بذهنها، تستعيد ذكريات الماضي القريب.

وكان الضوء ينبعث خافتاً من مصباح «إيما» المحلى بالزهور، فيسقط الضوء الواهي على إناء اللبن وعلبة الحبوب المنوّمة، وكانت مس «سيلز» جالسة في مقعدها عند النافذة، وهي في زيّ الممرضات الناصع البياض.

ترى هل حانت ساعتها.؟ هل في هذه الليلة ستقتل.؟ إنّهم يخشون أن تتحسّن فجأة، وأن تعود قادرة على الكلام، ولهذا يجب أن

تقتل. ولكن متى؟ الليلة؟ ربّما.

كان الباب المفضى إلى البهو مغلقاً، وكان باب الشرفة أيضاً مغلقاً. وهذا أفضل، فحين يفتح القاتل المنتظر الباب ربّما سمعت مس «سيلز» صريره فتصحو من نومها.

وفجأة فتح باب البهو.

تأمّلت مسز «مانسون» الشبح الذي انبثق من أحشاء الظلام. كان متشحاً برداءٍ أبيض منسدل عليه من رأسه إلى قدميه. وحتى وجهه كان مستوراً وراء قناعٍ لا تبين منه إلّا عيناه.

وغشيها الخوف، وهتفت في طوايا قلبها: مس «سيلز». مس «سيلز». استيقظي. أتوسّل إليك. إنّ الموت في الطريق إليّ. الموت يوشك أن ينقضّ.

وبرزت من ثنايا الرداء الأبيض ذراعان امتدّتا إليها.

كانت مشلولة. عاجزة عن الحركة فلا فرار، وعاجزة عن النطق فلا تحذير ولا إنذار.

ولكنّ مس «سيلز» استجابت للنداء الخفي الذي لم يتجاوز طيّات القلوب. فاستيقظت.

قالت: ما هذا. ؟ بالله عليك لم هذا التنكّر. ؟ أهي دعابة. ؟

وغمغم الشبح الأبيض من وراء القناع بكلماتٍ خافتةٍ مدغمةٍ غير واضحة المعالم.

وقالت مس «سيلز»: أحسنت صنعاً. وإن كنت قد أخفتني في البداية وأشعت الرعب في قلبي.

ومشت «ميلي» إلى الفراش، وأخذت بيد مسز «مانسون» تربت عليها وهي تقول:

ـ ولا شك أنّه أفزعك أنت أيضاً يا طفلتي العزيزة. ولكن لا تخافي يا حبيبتي. إنّه «بريتمان» المدلّك.

رباه. أهذا هو «بريتمان».؟ إذن فهو ليس «الموت» في رداءٍ أبيض.

واستطردت مس «سيلز»: إنّه مصاب بزكامٍ شديدٍ فارتدى القناع والثوب الأبيض المعقّم حتى لا تنقل إليك العدوى، وحسناً فعل.

وفرغ «بريتمان» من عمله وانصرف، وشيّعته «ميلي» حتى الباب الخارجي وأضحى البيت خالياً ليس فيه أحد سواها، فقد كان البهو معتماً وجميع الغرف مطفأة الأنوار يسودها الظلام.

وحين رجعت إلى المخدع ألفت مسز «مانسون» سارحة الذهن غارقة في خواطرها، وكانت عيناها تنظران إلى بعيد.

واتكأت «ميلي» على حافة النافذة، وجعلت تتطلّع إلى الخارج كان بيت آل «بيري» مطفأ الأنوار أيضاً، وأغلب الظن أنهم ذهبوا إلى السينما، أما «جورج» فمن المحتمل أنّه الآن مع «فريدي» ضابط الشرطة في المنطقة يروي له جميع الأحداث، فهما صديقان منذ الطفولة، وقد تخرّجا في الجامعة في وقتٍ واحدٍ. ولكن لم يفض «جورج» بشكوكه إلى مستر «مانسون» ومستر «بروس».؟ ولكن ما يدريها أنّه حدّثهما بالأمر، وأنّهما صحباه إلى مركز البوليس.

واستدارت عن النافذة إلى المدفأة تصطلي الدفء.

وفي الحادية عشرة رجعت «إيما» من الخارج.

ـ أرجو أن تكوني قد أمضيت وقتاً طيّباً.؟

ـ إنّ الجو سيىء، فالريح تهبّ، والرطوبة عالية، وأعتقد أنّ الضباب سوف يسود البلدة. إنّني أكره مثل هذا الجو. إنّي أراك سعيدة مبتهجة.

فقالت «ميلي»: ولم لا وأنا لائذة بهذا الدفء، هاربة من الجو الذي تصفين.

وقالت «إيما»: أما أنا فسألوذ بفراشي من فوري: ولكن أتريدين قدحاً من اللبن لمسز «مانسون». ؟

وتطلّعت المرأتان إليها. كانت مطبقة عينيها، غارقة في النوم في هدوءٍ وسكينةٍ.

وقالت «ميلي»: إذا ظلّت على هذه الحال فإنّي أوثر أن أدعها نائمة.

وقالت «إيما»: لا توصدي باب البيت بالمفتاح فإنّهم جميعاً في الخارج.

واستطردت «ميلي»: وبهذه المناسبة جاء «بريتمان» وأنجز عمله وانصرف، وكان واضعاً على وجهه قناعاً لإصابته بزكام شديد، فخشي أن ينقل العدوى إلى مسز «مانسون». ولكنّي لا أكتمك أنّ الخوف غشيني عند دخوله.

ـ وهل جاء «جورج». ؟

ـ كلا. لا «جورج» ولا سواه.

ودسّت «إيما» يدها في جيب معطفها وقالت:

ـ يا إلهي. لقد كدت أنسى. لقد بعثت إليك أمّك برسالة. أرسلتها إلى بيت أختي فجئت بها إليك.

ودفعت بالرسالة إلى «ميلي» وهي تقول:

ـ إنّي ذاهبة لأنام، وإذا احتجت شيئاً فدقّي الجرس.

ومضت إلى مخدعها، وحين التفتت «ميلي» إلى مسز «مانسون» وجدت عينيها مفتوحتين وهي تتطلّع إليها.

وضحكت «ميلي» وقالت: إذن فأنت فضولية تريدين أن تعرفي ما في خطاب أمّي. حسنٌ. سأجلس على حافة الفراش وأقرؤه عليك.

وأمسكت بالمظروف تتأمّله، وتنظر إلى الخط الذي كتب به العنوان.

- كلا يا طفلتي العزيزة الفضولية. إنّه ليس من أمي. كما أنّ في داخله شيئاً صلباً. لعلّه جنيه مثلاً.

وفضّت «ميلي» المظروف، وأخرجت الشيء الصلب، فإذا به مفتاح صغير فوضعته على المنضدة، وراحت تتلو الخطاب.

كانت الرسالة مكتوبة بالقلم الرصاص، وكان في رأسها سطر مكتوباً بخطٍ كبير يقول:

«لا تقرئي هذه الرسالة إلاّ إذا كنت وحدك».

وتطلّعت إلى مسز «مانسون» باسمة وقالت:

- إنّها رسالة سرّية يراد منّي ألاّ أقرأها إلاّ إذا كنت وحدي.

وشرعت تقرأ الخطاب، وبدأت تقطب جبينها، ورويداً رويداً يبدو عليها الاهتمام، حتى لقد نسيت مسز «مانسون».

كانت وحدها مع الرقعة المنكمشة، لا تحسّ بأحدٍ حولها.

«إنّني لن أذيل هذه الرسالة باسمي، ولكنّك ستستنتجين من تلقاء نفسك من أكون. هناك شيء غير سليم يجري في هذا البيت، وهو شيء لا أستطيع أن أبلّغ عنه البوليس، لأنّي لا أملك دليلاً، وكلّ ما لدي مجرّد اقتناع مبني على الإلهام. لقد وقعت في هذا البيت أحداث عديدة عجيبة تثير الشكوك. ولو أنّني ذهبت أخطر الشرطة بما حدث، فلا بد أن يدفعوا باسمي عندهم، وهبهم تحرّوا وبحثوا فلم يهتدوا إلى شيءٍ، فسوف يذاع اسمي وتلوكه الألسن، وعندئذ تكون نهايتي، بل إني أشعر الآن أنّ هناك من يراقب مسكني خفيةً أثناء الليل.

لقد حدث مرة أن سمعت عن سيدةٍ كانت تخشى على حياتها، وتعتقد أنّ هناك من يتربّص بها لكي يقتلها. وقد أساء القوم الظنون

بها، وحتى رجال الشرطة أنفسهم اعتقدوا أنّها امرأة تفترسها الأوهام. وأخيراً عندما قتلت عرف الناس والشرطة أنّهم مخطئون، وأنّها هي التي كانت على حق.

ولست أرغب في أن أورطك في المشاكل أو أعرّضك للأخطار، ولكن ليس لدي من أفضي إليه بشكوكي سواك.

إنّ المفتاح الذي تجدينه داخل هذا المظروف هو مفتاح الدور المسحور، وقد صنع تقليداً للمفتاح الأصلي، وليس لك أن تسأليني كيف انتهى إلى يدي والآن إليك السبب الذي دفعني إلى أن أبعث إليك بهذا المفتاح. في كلّ مرة يكون فيها البيت خالياً من الناس، وليس فيه إلّا السيدة المريضة وممّرضتها وربّما الطاهية في المطبخ - في هذه الحالة فإنّ بعضهم يتجوّلون في الدور المسحور. إنّني أسمعهم دائماً، فإنّ سمعي حاد جداً، حتى وإن مشوا في رفقٍ وهدوء وهذا يحدث في النهار أحياناً، وفي الليل في أحيان أخرى. وقد سمعت السيدة المريضة أيضاً وقع هذه الخطوات، وهي عاجزة على النطق، غير أنّ عينيها تكشفان عمّا في نفسها»

وقلبت «ميلي» الصفحة وهي تردّد في نفسها إنّ ما قرأت ليس إلّا سخافة لا معنى لها، وإنّ ما سطرته اليد المجهولة لا يمكن أن يكون حقيقياً.

ونشرت الصفحة التالية، وأنشأت تواصل قراءة الخطاب.

إنّني أنا نفسي لا أستطيع أن أستعمل المفتاح وأدخل الدور المسحور، إذ لم تتح لي هذه الفرصة من قبل، بل الأحرى أن أقول إنّ المفتاح وصل إلى يدي بعد أن أفلتت الفرصة. ولكن إذا كان لديك من تثقين به وتطمئنين إليه فاعهدي إليه بالمفتاح، واطلبي إليه أن يكون على حذرٍ شديدٍ، وأن يكتم الأمر عن الجميع، وأن يراقب الجميع، . وألّا يثق في إنسانٍ ولكن عليه أن يدخل الدور المسحور.

«لعلّنا نلتقي في يومٍ من الأيام. إنّك لا تهتمّين بي، فقد كان الأمر واضحاً، ولست ألومك على أية حال، ولكنّي سأظلّ صديقتك إلى الأبد».

طوت «ميلي» الخطاب وأودعته جيبها، ثم قالت:

ـ مسز «مانسون». هل تسمحين لي بأن. ولكنّها حين التفتت إليها بترت كلماتها، فقد كانت مسز «مانسون» شاردة الـذهن. لا تنصت إليها.

كانت ذراعاها مكشوفتين لا تغطّيهما البطانية، وكانت إحـدى اليدين ممتدّة نحو الفضاء، والأصابع تنفرد وتنطبق كأنّما تقبض على الهواء ثم تطلقه. وفي بطءٍ أخذت اليد تزحف على الفراش، حتى انتهت إلى المنضدة المجاورة للسرير ثم تراخت. واصطدمت، فطار الغطاء، ووقع على السجادة، كما انقلبت العلبة.

وهتفت «ميلي» في صوتٍ هامسٍ: مسز «مانسون».

وغطّت يد مسز «مانسون» المفتاح الذي وضعته «ميـلي» فوق المنضدة عندما فضّت المظروف، والتوى فمها، وتصلّب ثم استرخى. كانت تريد أن تقول شيئاً ثم ألفت نفسها عاجزة. وتلاقت عيناها بعيني «ميلي»، وكانت عيناها ناطقتين كانت تقولان إنها لا تستطيع أن تنطق. إنّها عاجزة عن الكلام بهذا كانت العينان تتكلّمان.

وقالت «ميلي»: أرجوك يا مسز «مانسون». لا تحاولي أن ترهقي نفسك. ولكن هل تعرفين الشخص الذي أرسل إليّ هذا المفتاح.؟ أتكون الممرضة التي سبقتني هي التي أرسلته.؟ أهي التي أرسلته.؟

نعم. إنّها هي التي أرسلته. هذا ما أكّدته الكلمات المنبعثة من العينين.

ـ ولكن أتعرفين ما الذي تهدف إليه.؟ إنّها تقول إنّه مفتاح الدور المسحور. وهي تقول إنّك.

ولم يكن ثمة حاجة لمزيدٍ من الحديث.

كانت عينا مسز «مانسون» تؤكدان أنّ كلّ كلمة. كانتا تبرقان تدعيماً وتأكيداً.

وقالت «ميلي»: هـل أذهب الآن إلى الدور المسحـور.؟ هل أذهب الآن.؟ ليس في البيت أحد سوانا.

وحاولت مسز «مانسون» أن تردّ بالإيجاب. حاولت أن تقول نعم، غير أنّ الخوف والإشفاق كانا يتصارعان مع الأمل كانت مشاعر الخوف والإشفاق والأمل جلية واضحة في العينين، كأنّها كلمات ناطقة صارخة.

وهمست «ميلي»: ليس في البيت أحد. الوقت الآن أمان إنّ من الأفضـل أن أذهب الآن بنفسي. إذا نحن انتظرنـا حتى أستـدعي «جورج»، فما يدريني ما الذي سيحدث أثناء فترة الانتظار.؟ ولكن ترى ما الذي سأجده أو أراه في الدور المسحور.

واتجهت عينا مسز «مانسون» إلى يدها الموضوعة فوق المفتاح. الذي تغطّيه بودرة التالك.

وقالت «ميلي» بنفس الصوت الهامس الخافت:

ـ مسز «مانسون». أيمكنك أن تحرّكي أصبعا واحدة.؟ أيمكنك أن تخطي بعض الكلمات بإصبعك المغموس في البودرة أيمكنك أن تكتبي حتى ولو كلمة واحدة.؟

وبدأت الاصبع تتوتر. ثم بدأت تتحرّك في بطءٍ. . شـديد. كلمة واحدة. أتوسّل إليك. كلمة واحدة وتحرّكت الأصبع. وبدأت الكلمة تكبر وتنمو. هذا حرف واحد. لا بل هو جزء من حرف. جزء. ثم حرف. ثم كلمة.

أخيراً خطّت كلمة. كلمة واحدة: «حقيبة».

وأخذت «ميلي» المفتاح، تناولت مشعلاً من درج المنضدة، ثم غادرت الغرفة، ونظرت إلى بابها، فليس فيه مفتاح، ولكنّني أعدك بأن أسرع ولا أتغيّب إلاّ قليلاً.

ورجعت ثانية إلى المخدع، ومحت الكلمة المخطوطة بالبودرة. ثم تحولت إلى مسز «مانسون»، وقالت لها باسمة:

ـ سأعيد يدك إلى موضعها تحت الغطاء، وها هي ساعتي سأضعها على المنضدة أمامك حتى تعرفي أنّني لن أتغيّب إلاّ قليلاً.

ثم غادرت الغرفة دون أن تلتفت وراءها.

كان البيت ساكناً هادئاً، وارتقت الدرج في خطوات خفيفةٍ، ودسّت المفتاح في ثقب القفل. واستعصى المفتاح قليلاً شأن كلّ مفتاحٍ جديد، ثم انفتح الباب أخيراً دون أن يصدر منه أيّ صرير. وأغلقت الباب وراءها، وعلى ضوء البطارية صعدت السلالم الداخلية المؤدية إلى الدور المسحور.

الحقيبة. الحقيبة. أيّة حقيبة يا ترى تلك التي تقصدها مسز «مانسون». ؟ إنّ الغرفة مليئة بالعديد من الحقائب فأنّى لي أن أعرف أيّها تقصد. ؟ وما الذي يمكن أن أجده في الحقيبة. ؟

وقفت «ميلي» في الغرفة، وأخذت تدير أشعة مشعلها في أرجائها.

وكانت هناك منضدة فوقها آلة كاتبة، وكانت هناك أريكة جلدية إحدى قوائمها مكسورة، كما كانت هناك علب كبيرة من الكرتون ولعب أطفال ودراجات مختلفة الأحجام وبعضها مكسور. كما كانت هناك أيضاً حقيبة كبيرة ملوّن غطاؤها بخطوطٍ كبيرة متعرّجة حمراء وصفراء وخضراء.

وللمرة الثانية زحفت اليد تحت الغطاء، وفي مشقةٍ وعناءٍ

وجدت طريقها إلى المنضدة مرة أخرى يا إلهي. لقد بدأت أشفى. إنّني الآن أستطيع أن أتحرّك. هأنذا جالسة في الفراش على ركبتي. نعم. إنّني جالسة على ركبتي. أسألك يا رب أن تحفظ «ميلي». أسألك أن تقيها من كل سوء وتوتّرت الأصابع وانكمشت. ثم تكورت وخطت كلمة على صفحة المنضدة بمدادٍ من مسحوق البودرة.

وفي غضون ذلك كانت «ميلي» قد فتحت الحقيبة الملوّنة بالخطوط المتعرّجة. إنّها مليئة باللعب المهشّمة. مسدسات. وسهام. وكور. وعربات. ومكعبات. ورزم من الأوراق المالية المقلّدة التي يلعب بها الأطفال. وأيد صفراء كبيرة الحجم منفرجة الأصابع.

وراحت «ميلي» تتأمّل الأيدي مشدوهة. إنّ اليد منها طويلة جداً. نفس الوصف الذي ذكرته «هاتي» نفس الوصف الذي أصرّت عليه رغم ما رميت به من الهذيان والتخريف.

يا إلهي. أيد صفراء اللون. وذراع خشبية طويلة.

اليد التي زحفت على جدار «هاتي». اليد الصفراء التي لمست وجهها.

وامتدّت يد «ميلي» وتناولت رزمةً من الأوراق المالية وراحت تفحصها. كلا. إنّها ليست أوراقاً مقلّدة ممّا يلعب بها الأطفال في المسابقات.. إنّها بنكنوت حقيقي. أكداس من أوراق البنكنوت، فمن الذي وضعه هنا.؟

وأطفأت «ميلي» مشعلها، وهبطت الدرج في الظلام وحين بلغت البهو تناهى إلى أذنيها صرير الباب الخارجي، وهو يفتح ثم يغلق في حرصٍ ورفقٍ، وأسرعت صاعدة إلى غرفة مسز «مانسون».

وجعلت مسز «مانسون» ترقبها وهي تدخل عليها وتوصد باب الغرفة وراءها، وتضع مقعداً وراء الباب بحيث تنحشر حافته تحت المقبض.

وذهبت «ميلي» إلى الفراش وقالت تخاطب مريضتها.

- لا تخافي. كوني مطمئنّة. لقد وضعت المقعد على سبيل الحذر والحيطة.

وتطلّعت إليها مسز «مانسون»، وكانت عيناها تتساءلان.

وأجابت «ميلي»: نعم. لقد رأيت كل شيء. رأيت ما كنت تريدين أن أرى. ولكن لا تخافي. كل شيءٍ سيكون على ما يرام.

واتجهت «ميلي» إلى الباب الخارجي المفضي إلى الشرفة. هذا الباب هو الذي سيعنيها أمره. هذا الباب هو الذي يخيفها. إنّ مزلاجه صغير جداً يمكن أن يغتصب بسهولة بشيءٍ من الضغط الخفيف على ضلفة الباب. كما يمكن أن يزاح من موضعه باستعمال مسمار صغير.

وتطلّعت «ميلي» إلى بيت «جورج» عبر الحديقة التي يسودها الظلام. كان البيت أيضاً غارقاً في الظلمة لا ينبعث منه ولا شعاع واحد من الضوء. لا شك أنّهم ذهبوا جميعاً إلى السينما. أو لعلّهم غارقون في النوم.

ورنّت ببصرها إلى الحديقة. كان كلّ شيءٍ ساكناً ولم يكن فيها شبح يتحرّك. ولكن كيف هذا وقد فهمت من «جورج» أنّه سيسهر الليل يراقب البيت. «وفريدي» ضابط الشرطة لا بد أن يكون ساهراً أيضاً. ومع ذلك فهي لا ترى أحداً في الحديقة - ظلام سائد وسكون شامل.

ورجعت إلى الفراش، وتكلّمت تقول:

- اسمعي يا مسز «مانسون». إنّ لدي فكرة. إنّك طبعاً لا تخافين الظلام. سأطفىء المصباح وأشعله عدة مرات لقد اتفقت مع «جورج» على أن تكون هذه الاشارة بيننا بمثابة استنجاد. وسيفهم إشارتي ويحضر في الحال.

كانت كاذبة في هذا الذي ذكرته، فما اتفقت مع «جورج» على شيءٍ من هذا القبيل. كلّ ما هنالك أنّها أرادت أن تبعث في قلب مريضتها الثقة والاطمئنان.

وحين مدّت يدها تتناول المصباح رأت الكلمة الجديـدة التي خطّتها أصابع مسز «مانسون» بالبودرة على صفحة المنضدة «قاتل».

وهمست: إنّني أعرف ذلك يـا مسز «مـانسون»، ولكن هـل تستطيعين أن تكتبي الاسم.؟

ولكنّ مسز «مانسون» ظلّت مكانها جامدة لا تتحرّك.

ترى هل «جورج» في بيته. هل رأى إشارتها.؟

هل شاهد المصباح يطفأ ويضاء.؟ وهل فهم مـا تعنيه هـذه الاشارة.؟

وكان «جورج» فعلاً قد رأى هذه الاشارة.

لقد قرّر أن يسهر وأن يراقب. كان في النافذة يدخّن سيجارته حين رأى النور ينطفىء ويضاء عدة مرات. لا بد أنّ «ميلي» في خطر.

ووثب يهبط الدرج، وخرج إلى الحديقة مسرعاً.

وكان صديقه «فريدي» ضابط الشرطة رابضاً في أحد أركانها.

وقال «جورج»: أشاهدت شيئاً.؟

ـ كلا. على الإطلاق. ولكن ما الذي جعلك تترك مكانك في النافذة.

ـ إنّي ذاهب إليها فقد رأيت المصباح بضاء ويطفأ، فكن يقظاً.

ـ إني على استعدادٍ فاذهب إليها، وسأكون على كثب منك.

وفي الظلمة التي تسود الغرفة مدّت «ميلي» يدها فأخذت بيد مسز «مانسون» وهي تقول في صوتٍ مترفّقٍ:

ـ لن تمضي دقائق حتى يكون «جورج» هنا.

لا شك أنّه استجاب إلى الإشارة. ومـع ذلك سـأحملك إلى

مقعدك عند النافذة. نعم سأبعدك عن الفراش حتى يصعب العثور عليك.

وحملت الفتاة مسز «مانسون» وإن أرهقها حملها وأجلستها.

وذهبت بها إلى المقعد المجاور للنافذة الآن الفراش خال منها، ولكنّ القاتل لن يعرف ذلك، فالظلمة شديدة، ولذلك سيتّجه إلى الفراش في طلبها.

وألصقت «ميلي» فمها بأذن مسز «مانسون» وهمست:

ـ سأقصّ عليك حكاية لطيفة فأرجو أن تعيريني سمعك.

وأخذت تروي لها شيئاً مسلّياً حتى تصرفها عن التفكير في الأخطار التي تحوم في الأفق.

وفجأة بترت كلماتها ومات الحديث على شفتيها.

لقد رأت شبحاً وراء الشرفة الزجاجي.

وسمعت صرير المقبض وهو يدور، ولكنّ الباب لم ينفتح لأنّها كانت قد وضعت المزلاج وراءه.

ولكنّ المزلاج صغير وضعيف، إنّه مزلاج يكفي مسمار لإزاحته عنْ موضعه.

وسمعت تكة صغيرة، ثم انفتح باب الشرفة.

ووقفت «ميلي» مولية ظهرها إلى المقعد المجاور للنافذة. المقعد الذي تجلس عليه مسز «مانسون». لقد جعلت من جسدها حاجزاً يردّ الخطر عن مريضتها.

ولمحت الشبح الذي دخل من باب الشرفة يسعى على أربعٍ، ويزحف على السجادة في اتجاه السرير. وغاب عن عينيها، وابتلعه الظلام.

وفجأة تناهى إلى أذنيها من ناحية الفراش صوت ارتطامٍ لقد انقضّ الشبح الخفي على السرير ـ كي يطعن ويقتل.. كي يخنق

ويقتل. المهم أنّه انقضّ ليقتل.

وانبعثت الأنوار كلّها دفعةً واحدةً. أنوار السقف. وأنوار البهو. وأنوار الشرفة. فيضان من الضوء ملأ الغرفة.

وتعالت أصوات صدام وارتطام. أصوات عراك وتلاحم وفوق الضجة الصاخبة ارتفع صوت «جورج» ينادي «فريدي. فريدي».

ومن حيث لا يدري أحد انبثق «فريدي» في الغرفة.

في البداية بهرها الضوء الذي سطع فجأة، أمّا الآن فبدأت ترى.

ها هي ذي ترى أمامها رجالاً لم تكن تتوقّع أن تراهم لقد انشقّت عنهم الأرض فبرزوا فجأة: «جورج. وفريدي». وليس هذا فقط، بل أيضاً دكتور «بابوك» وكذلك دكتور «بليديل».

مجموعة كبيرة من الرجال. كانوا ينهضون ويسقطون كتلة من اللحم تقوم وتقع. كتلة تتلاحم وتنفصل. تقترب وتبتعد. تتباعد وتصطدم.

رجال صامتون لا يتكلّمون. شبّان وعجائز.. طوال وقصار. ضعاف وأقوياء ـ ولكن الهدف واحد.!

الهدف هو ذلك الشبح الخفي الذي اقتحم الغرفة لكي يقتل.!

كان في يد «كوري» مسدّس.

ورمى «جورج» بجسده فوق ذراع «كوري» لكي يشلّ حركته.

وجمعت «ميلي» كلّ ما تبقّى لديها من قوة وشجاعة وصرخت:

ـ لا يا «جورج». احترس.

وانتهى الأمر أخيراً عندما تكاتفوا جميعاً وشلّوا حركة الشبح الأسود، وأزاحوا عنه القناع، وكشفوا وجهه لكي يراه الجميع.

وتحوّلت «ميلي» إلى مسز «مانسون»، وأخفت وجهها في صدر مسز «مانسون». بل إنّها حاولت أيضاً أن تلقي بيدها على عيني مسز

«مانسون» حتى لا ترى الرجل الذي اقتحم الغرفة لكي يقتل.

وسمعت إلى جانبها صوتاً رقيقاً ناعماً يهتف باسمها «مس «سيلز»!».

ورفعت رأسها، ولم تصدّق أذنيها. كانت تخشى أن تصدّق، ولكنّها كانت هي الحقيقة: مسز «مانسون» هي التي تكلّمت. مسز «مانسون» هي التي هتفت باسمها المشلولة نطقت، وتكلّمت، وتحرّكت.

صدمة نفسيّة شلّتها، وصدمة أخرى قضت على الشلل.

الصدمة الأولى حين رأت ابنها «روبي» منتحراً، والصدمة الثانية حين رأت زوجها «رالف مانسون» يحاول أن يقتلها طمعاً في مالها.

الرجل الذي كان يصرخ: أتوسّل إليكم أنقذوها إنّها كلّ ما تبقّى لي من دنياي.!

هذا الرجل هو الذي اقتحم الغرفة ليقتل. ليقتلها.!

٥٩ - الرسالة الزرقاء
٦٠ - رصاصة في الرأس
٦١ - رعب في المدينة
٦٢ - الزائر الغامض
٦٣ - ساعة الصفر
٦٤ - الستار
٦٥ - سرّ امرأة
٦٦ - سرّ الجريمة
٦٧ - السرّ الرهيب
٦٨ - سرّ الصندوق الإسباني
٦٩ - سرّ القصر الكبير
٧٠ - السكّين على العنق
٧١ - سرّ المنبهات السبعة
٧٢ - سيدة القصر
٧٣ - شاهدة إثبات
٧٤ - الشاهد الصامت
٧٥ - الشاهدة الوحيدة
٧٦ - الشبح القاتل
٧٧ - شرخ في المرآة
٧٨ - الشيطانة
٧٩ - الضحيّة
٨٠ - الطائر الجريح
٨١ - الطائرة المفقودة
٨٢ - الطيور السوداء
٨٣ - عدوّ بلا وجه
٨٤ - العميل السرّي
٨٥ - العنكبوت
٨٦ - غريم « بوارو »
٨٧ - الفخّ
٨٨ - قاتل المليونير
٨٩ - القاتل الرابع
٩٠ - القاتل الغامض
٩١ - القاتل والمقتول
٩٢ - القصاص
٩٣ - القصر الرهيب
٩٤ - القضية الكبرى
٩٥ - كأس السمّ
٩٦ - الكأس الأخيرة
٩٧ - كلب الموت
٩٨ - مأساة ذات ثلاثة فصول
٩٩ - الماضي الرهيب
١٠٠ - المتهم البريء
١٠١ - المتهمة البريئة
١٠٢ - المرأة الشرّيرة
١٠٣ - المصيدة
١٠٤ - مغامرات « بوارو »
١٠٥ - مغامرات « بوارو » الأولى
١٠٦ - مفتاح الجريمة
١٠٧ - المليونير المفقود
١٠٨ - الموت المقنّع
١٠٩ - موعد في بغداد
١١٠ - موعد مع الموت
١١١ - نادي الجريمة
١١٢ - وجه في المرآة
١١٣ - الوصيّة المفقودة
١١٤ - الياقوتة الحمراء

اقطع الكوبون ، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها ، وارسله مع الشيك بالبريد المسجّل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك . ص.ب ٣٧٤ ـ جونيه ـ لبنان

ملاحظة : جميع الحوالات والشيكات باسم : دار ميوزيك

MUSIC PUBLICATIONS

✂ -

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

ارقـــــام الـــــروايات :

						١	٢	٣	٤
٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤
٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤
٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤
٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤
٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤
٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤
٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤
٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤
٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠	١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤
١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠	١١١	١١٢	١١٣	١١٤

الاســم :

العنوان :

ص . ب : . المدينة : . الرمز البريدي :

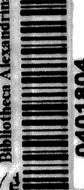
الـدولـة :

مرسل طيه شيك بمبلغ . . . دولار أمريكي

أجاثا كريستي

- الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى ١٠٣ لغات
- بيع من كتبها أكثر من ٦٥٠ مليون نسخة باللغة الانجليزية وحدها .

كاتبة روايات بوليسية ، ولدت في جنوب غرب انجلترا الأب اميركي وأم إنجليزية ، لكنها تقول «إني إنجليزية» ، تزوجت عام ١٩١٤ من الكولونيل أرشيبالد كريستي ، انجبت منه إبنة متزوجة ، انفصلت عنه العام ١٩٢٨ ثم تزوجت في العام ١٩٣٠ من المهندس الأثري البريطاني ماكس مالوان ، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين ، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعا ، فرواياتها كبيرة متكاملة ، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائما ، لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصية في الرواية ، كما تميزت ايضا بان اشخاص رواياتها أشخاص عاديون ، ولكنهم تعرضوا ـ في الرواية ـ لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان ، كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها ، على عكس ما اتبعه الآخرون ، إنها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء ، ولم تهدف إلى الإثارة ، ولا تلجأ إليها إلا إذا كان أبطال الرواية شبانا يطاردون الجواسيس أو يطاردون عصابات خطيرة ، كما تضمَّنت رواياتها اهدافا إنسانية فحواها أن (الجريمة لا تفيد) وأن الخير هو المنتصر في النهاية .



الثمن: ١٥٠